اعتقادات الفارابي في السعادة

الدكتور عزمي طه السيد أحمد

رئيس قسم الفلسفة وعلم الاجتماع

جامعة آل البيت – الأردن

تمهيد :

يهدف هذا البحث إلي الكشف عن اعتقادات الفارابي في موضوع يعتبره فيلسوفنا الغاية الأقصي للإنسان التي "ليس وراءها شي آخر يمكن أن يناله الإنسان أعظم منها " [1] " وأنها الغاية من غير أن يكون وراءها غاية أخري"[2] ، وهذا الموضوع الغاية هو السعادة . وقد أولاه الفارابي عناية كبيرة في مؤلفات المرحلة الاخـــيرة من حياته (الفترة ما بين ٣٣٠ - ٣٣٩ هـــ) [3] ، حيث خصص بعضـــها لـــهذا الموضوع بشكل مباشر مثل : رسالة التنبيه علي سبيل السعادة ، وكتاب تحصيل السعادة ، وبعضها تطرق إليه بشكل غير مباشر ، منها : كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة ، و السياسة المدنية و فصول منتزعة و كتاب الملـــة .وســـوف يســـعى

---

[1] الفارابي ، كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة ، قدم له وعلق عليه : د . ألبير نصري نادر ط ١٦ ،١٩٩١م ، دار المشرق ، بيروت ، ص ١٠٦ (نشير إليه فيما يلي بـــ : الفارابي – المدينة الفاضلة) .

[2] الفارابي ، فصول منتزعة ، حققه وقدم له وعلق عليه : د . فوزي مـــتري نجـــار ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٨٠ . نشير إليه فيما يلي بـــ : الفارابي ، فصول منتزعة

[3] معظم أعمال الفارابي في الفلسفة المدنية (الأخلاق والسياسة) كتبت في هذه المرحلـــة المتأخرة انظر : د . سحبان خليفات ،الفارابي : رسالة التنبيه علي سبيل السعادة ، (دراسة وتحقيق) منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ١٩٨٧ م (الدراسة) ونشير إلي نص الرسالة المنشور ضمن هذا العمل بـــ : الفارابي ، رسالة التنبيه) .

البحث بعد ذلك إلي الإشارة إلي ما يمكن أن يوجد من صلات بين هذه الاعتقادات وظروف العصر الذي عاشه الفارابي ، وننهي البحث بخاتمة نورد فيها بعض المناقشات وما أوصل إليه من نتائج ، آملين أن يكون هذا البحث مساهمة متواضعة ، تضاف إلي جهود الباحثين السابقين باتجاه الفهم الأوفى لفكر الفارابي وفلسفته .

xxxxxxxxxxxx

ونري قبل الدخول في صلب موضوع البحث أن نوضح بعض الأمور ، أحدها : المقصود بلفظ " اعتقادات " الوارد في عنوان البحث ، فنقول : لفظ : اعتقاد [4] من الألفاظ المألوفة عند المشتغلين بالفكر بعامة والفلسفة بخاصة ، ومع ذلك وتوخيا للدقة نري أن نوضح مقصودنا بهذا اللفظ وهو أن الاعتقاد قضية أو قضايا يصدق فرد أو جماعة بصوابها تصديقا مقرونا بالثقة التامة بقدرتها علي توجيه السلوك الإنساني وتحديد معالم خطواته ، علي مستوي الفرد أو المجتمع ، نحو تحقيق غاية مرغوبة ومطلوبة ، كما يشكل هذا التصديق ، في الوقت نفسه ، أحد الحوافز القوية لهذا السلوك . وقد يكون منشأ هذا التصديق البحث والنظر والتفكير المنهجي ، أو أمورا غير ذلك كالتقليد واتباع الآباء والعشيرة وما عليه القوم ، أو تجارب شخصية أو ظروفا عامة تفاعلت مع ذات المرء بشكل معين فولدت لديه اعتقادات ما .

لقد استخدم الفارابي لفظ " اعتقاد " مشيرا في موضع إلي وجود " اعتقاد حق " و " اعتقاد باطل " ، الأول دال علي " جودة التمييز " والآخر علي " رداءة التمييز "[5]

---

[4] سنستخدم لفظ " اعتقاد " في هذا البحث ليشير إلي قضية واحدة ، ونستخدم لفظ " اعتقادات " ليشير إلي الجمع .

[5] الفارابي ، رسالة التنبيه ، ص ١٨٢

واستخدمه في موضع آخر مشيرا إلي بعض الاعتقادات التي تحصل للإنسان نتيجة للنظر والفحص ذاكرا أن اختلاف الطرق في الفحص والاستنباط يوصلنا إلي " اعتقادات مختلفة " [6] .

الأمر الثاني الذي نري توضيحه هو الإشارة إلي أهمية السعادة في فلسفة الفارابي المدنية وكذلك أهميتها ومكانتها في مشروعه الفكري . السعادة عند الفارابي هي موضوع العلم المدني الذي يفحص أولا عن السعادة ، وهو جزءان : " جزء يشتمل علي تعريف السعادة وتمييز ما بين الحقيقة منها والمظنون به ، وعلي إحصاء الأفعال والسير والأخلاق والشيم الإرادية الكلية التي شأنها أن توزع في المدن والأمم ، ويميز الفاضل منها من غير الفاضل ، وجزء يشتمل على ترتيب الشيم والسير الفاضلة في المدن والأمم ، وعلي تعريف الأفعال الملكية التي بها تمكن السير والأفعال الفاضلة وترتب في أهل المدن ، والأفعال التي بها يحفظ عليهم ما رتب ومكن فيهم ..." [7] ، والواقع أن رسالة التنبيه علي سبيل السعادة قد عالجت موضوعات الجزء الأول ، و أن كتاب تحصيل السعادة قد عالج موضوعات الجزء الثاني ، كما عولجت تفاصيل بعض هذه الموضوعات في أعمال أخري مثل : المدينة الفاضلة و السياسة المدنية ، و فصول المدني ،

---

[6] الفارابي ، كتاب تحصيل السعادة ، ضمن الفارابي ، الأعمال الفلسفية ، جـ ١ ، تحقيق وتقديم وتعليق : د . جعفر آل ياسين دار المناهل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ م ن ص ١٢٠ (نشير إليه وتعليق فيما يلي بـ : الفارابي ، تحصيل السعادة) .

[7] الفارابي ، كتاب الملة ونصوص أخري ، حققها وقدم لها وعلق عليها : د . محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٥٩ – ٥٢ . (نشير إليه فيما يلي بـ : الفارابي ، كتاب الملة) .

و كتاب الملة ، وفصول منتزعة ، هذه السعادة التي هي موضوع العلم المدني عند الفارابي هي أمر لا يحق إلا في الحياة الاجتماعية الكاملة والفاضلة ، وهي الفصل النوعي الذي تميز به الاجتماعات الفاضلة من غير الفاضلة ، فالمدينة الفاضلة هي " التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون علي الأشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة ... ، والاجتماع الذي به يتعاون علي نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل ... " [8] وكذلك رئاسة الدولة الفاضلة في الحقيقة تكون عندما " يلتمس (الرئيس) بما يرسم .... أن ينال هو وكل من تحت رئاسته السعادة القصوى " [9] ، وهذا " الغرض " لا يتحقق إلا في " جماعة عظيمة " [10] ، أي اجتماع إنساني كامل .

أما مشروع الفارابي الفكري فهو مشروع نظري غايته عملية ، وهي تحقيق الدولة الفاضلة التي تتحقق فيها السعادة علي مستوي الفرد والجماعة . ويمكن تلخيص هذا المشروع – كما تبينه أعمال الفارابي في الفلسفة المدنية – كالآتي : يهدف هذا المشروع إلي تغيير أوضاع المجتمع إلي ما ينبغي أن تكون ، وهو إقامة الدولة الفاضلة التي يتحقق فيها الكمال الإنساني والسعادة علي مستوي الفرد والجماعة ، أما طريق تحقيق هذا الهدف ووسيلته فتكون باختيار رئيس للدولة يكون " قد عرف الفلسفة النظرية علي التمام " [11]، أي فيلسوفا علي الحقيقة ، وهو الذي تكون لديه كل أجناس الفضائل[12]: فضيلة نظرية (أي امتلاك الفلسفة

---

[8] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١١٨

[9] الفارابي ، كتاب الملة ، ص ٤٣ .

[10] المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

[11] المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

[12] الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١١٩ .

الحقيقية) ، وفضيلة فكرية عظمي ، وفضيلة خلقية ، وفضيلة عملية أو صناعة عملية عظمي – علي ما وصفه في : كتاب تحصيل السعادة [13] – وعلي هذا الرئيس تقع كل المسئوليات في الدولة ، لكنه يحتاج في إنجازها إلي " من يقبل منه " [14] ما يقترحه وإلي أن يطاع فيما يأمر به [15] ، وإلي أن " تكون له آلات يستعملها في أفعاله ، و ... ناس يستخدمهم في بلوغ غرضه " [16]، فهو بحاجة إلي معاونين [17] تكون مراتبهم علي قدر اقتنائهم للفضائل الرئيسة (النظرية والفكرية والخلقية والصناعات العملية) . ويقوم هذا الفيلسوف بمساعدة معاونيه بإيجاد الفضائل الجزئية في أفراد المجتمع وذلك عن طريقي " التعليم والتأديب " [18] كما يقوم بوضع الملة بمحاكاة حقائق الفلسفة النظرية " لكل أمة ولأهل كل مدينة بالمثالات التي عندهم الأعرف فالأعرف " [19] ، وكذلك وضع الشرائع ، ومن مسئولياته أيضا تنظيم المجتمع بحيث يكون " اجتماع المدنيين في المدن شبيها باجتماع الأجسام في جملة العالم ، و ... (يكون) في جملة ما تشتمل عليه

---

[13] المصدر نفسه ، ص ١٨٣ – ١٨٤ .

[14] المصدر نفسه ، ص ١٩٥ .

[15] المصدر نفسه ، ص ١٩٥ .

[16] المصدر نفسه ، ص ١٩٦ . وانظر استخدامه لفظ " آلات " في المعني نفسه في : كتاب الملة ، ص ٤٣ .

[17] المصدر نفسه ، ص ١٦٨ . وانظر : الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١٤٧ ، حيث استخدم عبارة : "ومن يلي الحكماء ".

[18] عند الفارابي تحديد دقيق لهذين المصطلحين : فـ " التعليم هو إيجاد الفضائل النظرية في الأمم والمدن ، والتأديب هو طريق ايجاد الفضائل الخلقية والصناعات العلمية في الأمم ، .. إلخ " المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

[19] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١٤٩ .

المدينة والأمة نظائر ما تشتمل عليه جملة العالم " [20] ، فيكون فيه مبدأ أول ومبادئ تالية متراتبة [21] .

إن إعداد هذا الفيلسوف – الرئيس ، وإعداد معاونيه الذين سيقومون بأعباء هذا المشروع المشار إليه آنفا ، يحتاج إلي دراسة الفلسفة الحقيقية ، لذا فإن تعليم الفلسفة الحقيقية لكل من لديه استعداد لذلك ودراستها واقتناءها ، هو المرحلة الأولي والهامة في هذا المشروع . وهذه المرحلة تبدأ بإتقان اللغة [22] التي سيتم التعبير بها ، ثم إتقان شيء من "صناعة النحو " يمكننا " أن نحصر أصناف الألفاظ الدالة علي أصناف المعاني المعقولة " [23] ، لأن " صناعة النحو لها عناء ما في الوقوف والتنبيه علي أوائل الصناعة " [24] (أي صناعة المنطق) ، ثم يلي ذلك دراسة المنطق (وما فيه من طرق : برهانية وخطابية وسوفسطائية ومغالطة) ثم دراسة الفلسفة النظرية من تعاليم وطبيعيات وإلهيات [25]. والفلسفة النظرية المقصودة هي الفلسفة الحقيقية التي ترجع أصولها إلي الكلدانيين في العراق القديم ثم نقلت منهم إلي أهل مصر القدماء إلي اليونانيين ثم إلي السريانيين حتى وصلت أخيرا إلي العرب ، وهي اليوم (أي في عصر الفارابي) متاحة باللسان العربي

---

[20] الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١٤٢ .

[21] المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .

[22] الفارابي ، رسالة التنبيه ، ص ٢٣٦ .

[23] المصدر نفسه ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

[24] المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ .

[25] ورد هذا الترتيب في أكثر من موضوع في كتابات الفارابي ، في : تحصيل السعادة ، ص ١٢٠ – ١٤٠ وانظر أيضا : د.عزمي طه السيد أحمد ، فلسفة الدين عند الفارابي ، دار الشباب – قبرص ، ١٩٩٤ ، ص ٩٢ – ٩٣ .

بعد أن تأدت إلينا من اليونانيين عن أفلاطون وعن أرسطوطاليس " [26] ، حيث " تناهي النظر العلمي " [27] عند الأخير .

هكذا يبدأ مشروع الفارابي علي المستوي النظري باللغة والنحو كمقدمة للمنطق ، ثم المنطق كمقدمة للفلسفة الحقيقية ، حتى إذا تم اعداد الفيلسوف الحقيقي ومعاونيه من أهل الفلسفة والفضائل الأخرى ، وتولي هؤلاء زمام الأمور أمكن التوصل إلي الدولة الفاضلة وتحقيق السعادة للأفراد والجماعات .

إن اعتقادات الفارابي في السعادة تشمل – في ضوء ما قدمنا – جميع الاعتقادات التي كانت وراء هذا المشروع الاجتماعي – السياسي النظري الذي قدمه الفارابي في أعماله الأخيرة المشار إليها فيما تقدم ، وستكون هذه الاعتقادات محور اهتمام هذا البحث بالدرجة الأولي والأساس .

• • •

اعتقادات الفارابي التي سنبينها فيما يلي ، يمكن إرجاعها إلي اعتقاد واحد ورئيس تتصل به كل هذه الاعتقادات الفرعية ، وهو الاعتقاد بقدرة الإنسان علي تحقيق كماله اللائق به كانسان وتحقيق سعادته القصوى ، علي مستوي الفرد وعلي مستوي المجتمع ، دون الحاجة إلي عون خارجي .

يري الفارابي أن كون السعادة هي الغاية وبتحقيقها يتحقق كمال الانسان ، هو من الأمور المشهورة الواضحة التي لا تحتاج إلي تدليل ، ولذلك كانت هذه القضية إحدي مسلمات بحثه في هذا الموضوع ، وقد أكد هذا المعني في مواضع عديدة ،

---

[26] الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١٩٦ .

[27] الفارابي ، كتاب الحروف ، حققه وقدم له وعلق عليه : محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٥١ . (نشير إليه فيما يلي : الفارابي ، الحروف) .

من ذلك ماذكره في مفتتح رسالة التنبيه علي سبيل السعادة حيث يقول : " أمـا أن السعادة هي غاية ما يتشوقها كل إنسان ، وأن كل من ينحو بسعيه نحوهـا فإنمـا ينحوها علي أنها كمال ما ، فذلك مما لا يحتاج في بيانه إلي قول إذا كان ، فـي غاية الشهرة " [28]. إن السعادة ، عند الفارابي" آثر الخيرات وأعظمها وأكملها " [29] وهي " نهاية الكمال الإنساني " [30] ، لذلك كله ، وبسـبب هـذه المكانـة الهامـة والرئيسية للسعادة ينبغي علي من يطلب السعادة ، و " يلزم من آثـر تحصيلـها لنفسه أن تكون له السبل والأمور التي بها يمكن الوصول إليها [31] وقدم الفـارابي بالتنبيه علي هذه في رسالة التنبيه، حيث ركز علي السبيل الذي به ينال الإنسان ، من حيث هو إنسان ، السعادة موضحا أن السعادة تتجلى في جملة أحوال الإنسان الممدوحة ، أي التي يلحقه بها مدح ، وهذه " ثلاثة : أحدها الأفعال .. ، والثـاني عوارض النفس .. ، والثالث هو التمييز بالذهن "[32] .، وإن الإنسان " كل إنسـان هو مفطور من أول وجوده علي قوة بها تكون أفعاله وعوارض نفسـه وتميـيزه علي ما ينبغي ، وبتلك القوة بعينها تكون له هذه الثلاثة علي غير ما ينبغي "[33] ، هكذا يري الفارابي أن الإنسان يولد مزودا بقوة أو قدرة أو استعداد يمكنه من نيل السعادة إذا عرف سبيلها وسار عليه وحرص علي أن يفعل " المحمود " ويجتنب " المذموم " في أحواله الثلاثة ، " والسبيل إلي السعادة " له مراتب أو مراحل تعتمد

---

[28] الفارابي ، رسالة التنبيه ، ص ١٧٧ .

[29] المصدر نفسه ، ص ١٧٩ .

[30] المصدر نفسه ، ص ١٨٠ .

[31] المصدر نفسه ، ص ١٨٠ .

[32] المصدر نفسه ، ص ١٨١ .

[33] المصدر نفسه ، ص ١٨٥ .

كلها علي جهد الإنسان في اكتسابها، و" أول مراتبها تحصيل صناعة المنطق " [34] ، وهو علم إنساني ، أي ابتدعه ووضع قواعده وفصل مباحثه الإنسان .

أما عن السعادة علي مستوي المجتمع فتحصيلها يتم بجهد الإنسان في تحقيق الفضائل في نفسه ومعاونة غيره علي اكتسابها ، وإن بداية اكتساب الأفراد وأهل المدن للفضائل يبدأ باكتساب الفلسفة الحقيقية ، هذا المعني يؤكده الفارابي في مفتتح كتاب تحصيل السعادة حيث يقول مؤكدا الجهد الإنساني : " الأشياء الإنسانية التي إذا حصلت في الأمم وفي أهل المدن حصلت لهم بها السعادة الدنيا في الحياة الأولي والسعادة القصوى في الحياة الأخرى ، أربعة أجناس : الفضائل النظرية والفضائل الفكرية الخلقية والصناعات العلمية " [35] ، ويشرح الفارابي في هذا الكتاب حقيقة هذه الفضائل وطرق تحققها في المجتمع ، ويوضح ارتباطهما معا وارتدادهما جميعا إلي الفضيلة النظرية التي " هي العلوم التي الغرض الأقصي منها أن تحصل الموجودات ... معقولة متيقنا بها فقط "[36] ، والفضيلة النظرية تتم للإنسان باكتسابه الفلسفة النظرية ؛ هذا المعني أكده الفارابي في مواضع أخري من كتبه ، منها ما ورد في رسالة التنبيه حيث قال رابطا بين السعادة والفلسفة : " ... ، فلازم ضرورة أن تكون الفلسفة هي التي تنال بها السعادة "[37] .

---

[34] المصدر نفسه ، ص ٢٣٢ .

[35] الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١١٩ .

[36] المصدر نفسه ، ص ١١٩ .

[37] الفارابي ، رسالة التنبيه ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

ويؤكد الفارابي هذه القضية في عرضه لفلسفتي أفلاطون وأرسطو في كتابه المسمي : الفلسفتين [38] ، بصورة غير مباشرة حيث يخبرنا أن هذين الفيلسوفين

---

[38] للفارابي عمل من جزأين ، جعل لكل جزء عنوانا موافقا لموضوعه ، الأول عنوانه : فلسفة أفلاطون وأجزاؤها ومراتب أجزائها من أولها إلي آخرها . والثاني عنوانه : فلسفة أرسطوطاليس وأجزاء فلسفته ومراتب أجزائها والموضع الذي منه ابتدأ وإليه انتهي ورد ذكر هذا العمل عند عدد من المؤرخين القدامى تحت عنوان واحد ؛ في : إتمام التتمة ورد هكذا : فلسفة أرسطو وأفلاطون " (نقلا عن : حسين علي محفوظ ، الفارابي في المراجع العربية ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٦٧) ، وعند القفطي ، إخبار العلماء بأخبار الحكماء ،مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٦ هـ ص ١٨٤ ، ورد هكذا : " كتاب فلسفة أفلاطون وأرسطوطاليس " وعند ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق نزار رضا ، مكتبة دار الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٨٠٦ . ورد هكذا : " كتاب الفلسفتين لأفلاطون وأرسطوطاليس مخروم الآخر " ونقل ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء عن صاعد الأندلس في كتابه : طبقات الأمم ، قوله عن الفارابي : " ... وله كتاب في أغراض فلسفة أفلاطون وأرسطوطاليس " (ص٦٠٥) وأورد الصفدي في : الوافي بالوفيات ، ج ١ ، باعتناء هلموت ريتر ، ط ٢ ، ١٩٦٢ ، ص ١٠٩ ، عنوان الكتاب تقريبا كما في : عيون الأنباء ، هكذا " كتاب الفلسفتين لأفلاطون وأرسطو " مخروم الآخر "،وورد في فهرس مكتبة الإسكوريال : ذكر الكتاب هكذا : " كتاب فلسفة أفلاطون و أرسطو "(انظر : حسين محفوظ ، الفارابي في المراجع العربية ، ص ١٩٨) ، وورد في : كشف الظنون، لحاجي ، خليفة ، هكذا : كتاب فلسفة أفلاطون وأرسطو " ، كما أورد المؤلف بعده عنوانا آخر هو : كتاب الفلسفتين " (مجلد ٦ ، ص ٤٠) ، وكان ابن رشد ، الفيلسوف ، قد أشار إليه باسم : " كتاب الفلسفتين " في تفسيره لكتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو (محسن مهدي فلسفة أرسطو ، ص ١٥ – ١٨) .

وحديثا نشر هذا العمل في كتابين وتحت عنوانين مستقلين : نشر الجزء الأول الخاص بعرض فلسفة أفلاطون ، المستشرقان : فرانز روزنثال F . Rosenthal وريتشارد فلتزر R . Walzer عام ١٩٤٣ م ، ونشره ثانية د . عبد الرحمن بدوي ضمن كتابه : أفلاطون في الإسلام ، دار الأندلس ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م ، ص ص ٣ – ٢٧ ، ونشر الجزء الثاني الدكتور محسن مهدي في كتاب خاص بعنوان : الفارابي فلسفة أرسطوطاليس وأجزاء فلسفته

ومراتب أجزائها والموضع الذي منه ابتدأ واليه انتهي (ومعه تقديم وتعليقات) دار مجلة شعر ، بيروت ١٩٦١م ، وحين نشر نيكولاس ريشر N . Resher ، كتابه Al - Farabi, An Annotated Bibliography , Pittsburgh , 1962 .

جعل كل جزء عنوانا مستقلا لكتاب ، ولعله كان متأثرا في ذلك بواقع الحال في نشر كل جزء مستقلا علي حدة .

من عرض المعلومات المتقدمة نود أن نقرر النتيجة الأتية وهي : إن هذين العنوانين المنشورين حديثا كعملين مستقلين هما في أصل تأليفهما كتاب واحد ، هو الذي ذكره المؤرخون القدامى باسم : كتاب فلسفة أفلاطون وأرسطو ، كما نري مع ابن رشد أنه يمكن أن يسمي ، من باب الاختصار والتسهيل : الفلسفتين .

والحق أن هذا الرأي يسنده ما افتتح به الفارابي الجزء الثاني الخاص بفلسفته أرسطو مما يفيد أن أول هذا الكلام متصل بالكلام عن فلسفة أفلاطون ؛ فهو يقول في مفتتح هذا الجزء ، بعد ذكر عنوانه ما يلي : " أرسطوطاليس يري ما يراه أفلاطون ، وأكثر ، غير أنه لما لم يكن ذلك بينا من قبل نفسه ، ولا كان مما يسهل بيانه ببرهان يحصل فيه يقين ، رأى أن يبتدئ مما قبل الموضوع الذي ابتدأ فيه أفلاطون " . (فلسفة أرسطوطاليس ، ص ٥٩) فما كان يراه أفلاطون في كمال الإنسان ، والموضع الذي ابتدأ فيه أفلاطون : هذه أمور ذكرت في الجزء الأول من العمل الخاص بفلسفة أفلاطون ، فالفارابي يحيل إلي مواضع قريبة وليست بعيدة ، إذ لو كان يشير أو يحيل على كتاب آخر مستقل لوجدنا إشارة غير هذه الإشارة .

وكتاب الفلسفتين له صلة قوية بكتاب آخر للفارابي هو : كتاب تحصيل السعادة ، وسياق الكتاب الأخير في مجمله والعبارات التي اختتم الفارابي بها هذا الكتاب يشيران إلي وجود هذه الصلة القوية التي تجعلنا نرتب كتاب الفلسفتين تاليا زمنيا ومنطقيا لـ : تحصيل السعادة .

والحق أن الفارابي قد أشار إلي هذه الصلة في نهاية تحصيل السعادة حين تكلم عن الفلسفة الحقيقية المطلوب تعلمها وتعليمها ، وذلك في قوله : " والفلسفة التي هذه صفتها إنما تأدت إلينا من اليونانيين عن أفلاطون وعن أرسطوطاليس . وليس واحدا منهما أعطانا الفلسفة دون أن أعطانا مع ذلك الطرق إليها والطرق إلي إنشائها متي اختلت أو بادت .

ونحن نبتدئ أولا بذكر فلسفة أفلاطون ، ثم نرتب شيئا من فلسفته حتي نأتي علي آخرها ، ونفعل مثل ذلك في الفلسفة التي أعطانا أرسطوطاليس ، فنبتدئ من أول أجزاء فلسفته ، فنبين من ذلك أن غرضهما بما أعطياه غرض واحد وأنهما إنما التمسا إعطاء فلسفة واحدة

المبرزين قد بحثا في كيفية تحقيق الكمال الإنساني وبينا أن ذلك أمر ممكن للإنسان ، أن يحققه دون معونة من أي مصدر خارجي عن طريق" علم ما وسيرة ما " [39] ، أي بالفلسفة النظرية . ممارسة الفضائل والأخلاق المحمودة ، التي يتم الوقوف عليها – فيما يراه الفارابي – " بحيلة " إنسانية [40]

بعينها . فلسفة أفلاطون وأجزاؤها ومراتب أجزائها من أولها إلي آخرها " (الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١٩٦ – ١٩٧) . ويعلق ناسخ المخطوط الذي عنه حقق الكتاب حديثا بقوله مباشرة بعد آخر ما نقلناه آنفا : " هذا آخر ما وجدناه من هذا الكتاب " . (الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١٩٧) .

إن عبارة " ونحن نبتدئ أولا بذكر ... " تشير إلي وجود خطة ما والشروع في تنفيذها ، وهذه الخطة هي عرض فلسفتي أفلاطون وأرسطو ، وهما الجزءان اللذان أوضحنا ما بينهما من صلة وأنهما يشكلان مؤلفا واحدا أطلق عليه اسم : الفلسفتين ، أما الجزء الأخير من النص المقتبس ها هنا ، فيشير إلي كتاب ضمن هذه الخطة هو كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطوطاليس، حيث خصص الفارابي هذا العمل لشرح المعني المتضمن في الجزء الأخير المشار إليه آنفا وهو قوله ، : فنبين من ذلك أن غرضهما بما أعطياه غرض واحد وأنهما إنما التمسا إعطاء فلسفة واحدة بعينها ".وعليه يمكن ترتيب هذه الكتب ترتيبا منطقيا كالآتي : تحصيل السعادة ، الفلسفتين ، الجمع بين رأيي الحكيمين .(انظر اقتراحنا المتعلق بالترتيب المنطقي لكتب الفارابي في المرحلة الأخيرة في الهامش رقم(١٨٣)).

[39] الفارابي ، فلسفة أفلاطون وأجزاؤها ومراتب أجزائها من أولها إلي آخرها ، منشور ضمن : **عبد الرحمن بدوي** : أفلاطون في الإسلام ، ط ٢ ، دار الأندلس ، الكويت ، ١٩٨٠م ، ص ص ٣ – ٢٧ . انظر ص ٦ (نشير إليه فيما يلي : الفارابي ، فلسفة أفلاطون) وانظر المعني نفسه في : الفارابي ، فلسفة أرسطوطاليس ، ص٦٩ – ٧٠ (المصدر المذكور في الهامش السابق رقم (٣٨)).

[40] انظر توضيح الفارابي لاكتساب الأخلاق المحمودة في : الفارابي رسالة التنبيه ،ص ص ٢٠٠ – ٢٠٤ .

لا غرابة – فيما نري – أن يكون هذا الاعتقاد هو أم اعتقادات الفارابي الأخـــرى وأن تكون عنه تفرعت ، فهو – من جهة – يبين الغاية القصوى للسعي الإنساني كما يشير – من جهة أخري – إلي مسئولية الإنسان عن تحقيق كماله وســـعادته وإن ذلك أمر لا يتحقق إلا ببذل الجهد علي مستوي الفرد والمجتمع .

والفارابي في هذا الاعتقاد يتابع مسيرة التراث الفلسفي الذي وصل إليـــه متحدرا من " الكلدانيين ، وهم أهل العراق ، ثم صار إلي أهل مصر ، ثم انتقـــل إلي اليونانيين ، ولم يزل إلي أن انتقل السريانيين ثم إلي العرب " [41] وهو اليوم – أعني في عصر الفارابي – متاح " باللسان العربي " [42] هذا التراث الذي تتـــاهي النظر الإنساني العلمي فيه علي يد أرسطو ، لكن العرب والفارابي عرفوه بتوسط الأســـاتذة السريان ، الذين تـــتلمذ الفارابي علي بعضهم في حران ، كـــما هو معلوم ،[43] وإذا كانت الدلائل القاطعة علي صحة ماذكره الفارابي عن الحلقـــات الأولي لسلسلة هذا التراث غير كاملة ، فإن الحلقات الأخـــيرة منـــها (أعنـــي : اليونان والسريان والعرب) مؤكدة ، وبالتالي يمكننا القول باطمئنـــان إن أصـــول هذا الاعتقاد العام والرئيس عند الفارابي لها صلة قوية ، مـــن حيـــث نشأتـــه ، بالتراث الفلسفي اليوناني الواصل إلي بغداد عبر مدارس الأســـكندرية وانطاكيـــة وحران [44].

---

[41] الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١٨١ – ١٨٢ .

[42] المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .

[43] من هؤلاء ، يوحنا بن حيلان ، حيث يروي أنه قرأ عليه " الجزء الذي لا يتجزأ " من المنطق وذلك بعد أن تتلمذ علي متي بن يونس في بغداد . انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ترجمة رقم ٧٠٦ .

[44] انظر مقالة : ماكس مايرهوف ، من الإسكندرية إلي بغداد ، ضمن كتاب : عبد الرحمن بدوي ، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص ٣٧ – ١٠٠ .

ولاشك أن هذه الصلة ستترك أثرها علي الاعتقادات الفرعية الأخرى كثـــيرا أو قليلا، كما سنحاول تبيينه فيما يلي :

لننظر إلي هذه الاعتقادات الفرعية المفصلة والموضحة لهذا الاعتقاد العام بقـــدرة الإنسان علي تحقيق كماله وسعادته دون عون خارجي ، إن أول هذه الاعتقادات هو اعتقاده بأن تحقيق الكمال الإنساني والسعادة لا يتم إلا في اجتمـــاع إنســـاني كامل وفاضل هو : الدولة الفاضلة .

مبرر هذا الاعتقاد هو حاجة " كل واحد من الناس ... في قوامه وفـــي أن يبلـــغ أفضل كمالاته إلي أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحده ... ، فذلك لا يمكن أن يكون الإنسان ينال الكمال الذي لأجلـــه جعلـــت الفطـــرة الطبيعيـــة إلا باجتماعات جماعة كثيرة متعاونين ، يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتـــاج اليه في قوامه ، فيجتمع مما يقوم به جملة الجماعة لكل واحد جميع ما يحتاج إليه قوامه وفي أن يبلغ الكمال " [45] وهذا هو سبب حدوث الاجتماعـــات الإنســـانية [46] وهذه الحاجة يؤكدها في موضوع أخر بقوله : " إن الإنسان إنما يصير إلي الكمال الأقصي الذي له ... إذا سعي ... نحو بلوغ هذا لكمال ، وليس يمكنه أن يســـعى نحوه إلا باستعمال أشياء كثيرة من الموجودات الطبيعية ، وإلي أن يفعـــل فيـــها أفعالا تصير بها تلك الطبيعيات نافعة له في أن يبلغ الكمال الأقصي الذي ســـبيله أن يناله ، ويتبين له ... أن كل إنسان إنما ينال من ذلك الكمال قسطا ما ... ، إذ جميع الكمالات ليـــس يمكن أن يبلغها وحـــده بانفراده دون معاونة ناس كثيرين

---

[45] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١١٧ .

[46] المصدر نفسه ، ص ١١٧ .

له " [47] ، أي دون اجتماع إنساني ، ويقسم الفارابي الاجتماعات الإنسانية إلي كاملة وغير كاملة مستخدما معيار الكم ، وعليه كانت الاجتماعات الكاملة – في نظره – ثلاثة : " عظمي ووسطي وصغري ، فالعظمي اجتماعات الجماعة كلها في المعمورة ، والوسطي اجتماع أمة في جزء من المعمورة ، والصغرى اجتماع أهل مدينة في جزء من مسكن أمة ، وغير الكاملة : اجتماع أهل القرية واجتماع أهل المحلة ثم اجتماع في سكة ثم اجتماع في منزل "[48].

مصطلحات الفارابي في أنواع الاجتماعات واضحة تمام الوضوح في دلالتها الكمية ، إذا ترتيبها الوارد أعلاه ترتيب تنازلي ، بل إن الفارابي يؤكد ، فيما يتعلق بالاجتماعات الكاملة هذا التدرج الكمي وأن الأكبر يضم الأصغر ، والأصغر جزء من الأكبر وذلك بقوله : " والمدينة جزء مسكن أمة ، والأمة جزء جملة أهل المعمورة " [49].

نؤكد هنا وضوح مصطلحات الفارابي لنصل من ذلك وفي ضوئه ، إلي الرأي الذي نظنه يرفع الخلاف بين الباحثين حول المعني الذي قصده الفارابي بـ " المدينة الفاضلة " باعتبارها هدفا لمشروعه الاجتماعي – السياسي ، ذلك أن بعض الباحثين مثل : روزنتال ، يري أن المقصود بالمدينة الوحدة السياسية الصغيرة علي شاكلة دولة المدينة عند اليونان [50] في حين يري د. جميل صليبا أن مدينة الفارابي أوسع من ذلك وأكبر بحيث تشمل " اتحاد الأمم كلها واجتماعها

---

[47] الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١٣٩ .

[48] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١١٧ – ١١٨ .

[49] المصدر نفسه ، ص ١١٨ .

[50] انظر : عبد السلام بنعبد العالي ، الفلسفة السياسية عند الفارابي ، ط ٢ ، دار الطليعة بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٥٧.

حول ملك واحد " [51] ، ويؤيد هذا الفهم الأوسع . عبد الرحمن بدوي [52] وآخرون ، وهناك من رأي خلاف هذين الرأسين دون توضيح محدد ودقيق لدلالة " المدينة الفاضلة " عند الفارابي ، منهم د . محمد عابد الجابري الذي يرى أنه من الخطأ القول بأن الفارابي قد تصور دولة عالمية إلا أنه دعا إلى وحدة الجنس البشري كله ، كما أنه " من الخطأ الادعاء بأنه تحدث عن " المدينة " لا عن الأمة أو الدولة ، تحت تأثير الفكر اليوناني ونظم المدن اليونانية " [53] ، ويتابع الجابري قائلا : " إن المدينة في تصور الفارابي هي " الاجتماع المتمدن " ، الاجتماع الذي يربط الناس بروابط اجتماعية وفكرية ودينية معينة والمهم بالنسبة اليه هو نوع هذه الروابط " [54] .

والحق الذي نراه أن تحديدنا لما يقصده الفارابي بعبارة المدينة الفاضلة هو - من جهة - أمر هام وأساسي لفهم مشروع الفارابي الفكري إذ هو مرتبط بالهدف المنشود ، وهو - من جهة أخري - لا يخرج عن واحد من أنواع الاجتماعات الكاملة الثلاثة التي حددها ، والفارابي يؤكد هذا المعني حين ذكر أن " الخير الأفضل والكمال الأقصي "[55]ينال بدولة - المدينة ، أصغر الاجتماعات الكاملة وينال بدولة - الأمة ، أوسطها ، وينال بدولة - المعمورة ، يقول في ذلك :

---

[51] جميل صليبا ، من أفلاطون إلي ابن سينا ، ط ٤ ، دار الأندلس ، (تاريخ المقدمة ١٩٥١م ، ص ٦٥) .

[52] انظر : عبد السلام بنعبد العالي ، الفلسفة السياسية عند الفارابي ، ص ٥٧ .

[53] د . محمد عابد الجابري ، مشروع قراءة جديدة لفلسفة الفارابي السياسية والدينية ، ضمن : الفارابي والحضارة الإنسانية ، وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٧٥ م - ١٩٧٦ م ، ص ٣٣٩ - ٣٧٦ ، ص ٣٧٢ .

[54] المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ .

[55] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١١٨ .

" فالمدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون علي الأشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة هي المدينة الفاضلة ... ، والأمة التي تتعاون مدنها كلها علي ما تنال به السعادة هي الأمة الفاضلة ، وكذلك المعمورة الفاضلة إنما تكون إذا كانت الأمم التي فيها تتعاون علي بلوغ السعادة " [56].

واضح إذن أنه توجد ثلاثة احتمالات علي المستوي النظري ، لكن أي هذه الاحتمالات هو الذي قصده الفارابي وتحدث عنه باعتباره غاية مشروعه الفكري ؟ ليس أمامنا إلا النظر في كتاباته ذات الصلة بالموضوع لنستنتج في ضوء السياقات والقرائن مقصوده وما كان يعنيه ، ولقد فعلنا هذا ووجدنا أن كلام الفارابي في أكثر من موضوع وسياق يفهم منه أن مقصوده وطموحه في مشروعه هو تحقيق الحالة الوسطي أي (دولة – الأمة) القومية الفاضلة ، ذلك أن لفظ " الأمة " عنده لا يشير إلي المعني الإسلامي الذي يشمل كل المسلمين علي اختلاف قومياتهم ، وإنما إلي الأمة بالمعني القومي [57] .

إن هذه الدولة القومية لا يوجد ما يمنع نظريا أن تتعاون مع غيرها من الدول القومية الفاضلة الأخرى فيتكون منها (دولة – المعمورة) الفاضلة ، كما أنه لا يوجد ما يمنع من الناحية النظرية من أن تكون هناك (دولة – مدنية) فاضلة تنتمي لأمة ما ، وتتعاون لتكوين الدولة القومية ، بل لعل ذلك هو خطوة البداية ، أي البدء بإقامة (دول – مدنية) فاضلة تنتمي لأمة ما ، ويؤيد هذا المعني قول الفارابي الذي أورده قبل ذكر أنواع الاجتماعات الكاملة الفاضلة الثلاثة وهو

---

[56] المصدر نفسه ، ص ١١٨ .

[57] الأمة عند الفارابي تتألف من جماعة لها أخلاق وشيم طبيعية ولها لغة واحدة . انظر توضيحا فيما يأتي .

عبارته : " فالخير الأفضل والكمال الأقصي إنما ينال أولا بالمدينة " [58] إن الـذي وصلنا إليه - في ضوء نصوص الفارابي المختلفة - أن المقصود وغايتـه فـي مشروعه الفكري الاجتماعي السياسي هو الدولة القومية الفاضلـة فـي الدرجـة الأولي ، لكن تحقيق هذا الهدف يبدأ (بدول - المدينة) الفاضلة ، أصغر وحدات الاجتماع الإنساني الكاملة .

سنقدم بعض أقوال الفارابي التي تدعم هذا الاستنتاج : من ذلك قوله الذي يبـين " الأشياء المشتركة التي ينبغي أن يعلمها جميع أهل المدينة الفاضلة ... (وهي) ... معرفة السبب الأول ... ، ثم الأشياء المفارقة للمادة (أي العقول العشـرة) ... ثم الجواهر السماوية ... ، ثم الأجسام الطبيعية ... ، ثم كون الإنسان ... ثـم الرئيس الأول وكيف يكون الوحي ، ثم الرؤساء الذين ينبغي أن يخلفوه ... ، ثـم المدينة الفاضلة وأهلها والسعادة التي تصير إليها أنفسهم ... ثم الأمم (ص ١٤٧) الفاضلة والأمم المضادة لها " [59] يتضح من الجزء الأخير من هذا النص - الذي انتهي عند الحد الذي أوردناه - أن من الأشياء التي ينبغي أن يعرفها أهل (دولة - المدينة) الفاضلة وصف هذه الدولة الفاضلة وأهلها ، وكذلك وصف (دولة - الأمة) الفاضلة ومضادات كل منهما تتضح أهمية الترتيب فـي معرفـة هـاتين الدولتين الأمر الذي نستنتج منه أنه لو كان هدفه مقصورا علي تحقيق (دولـة - المدينة) الفاضلة فقط لما ذكر لنا دولة - الأمة ، أما ما ذكره للنوعين ، فـهو - كما أسلفنا آنفا - لبيان أن (دولة - الأمة) الفاضلة تتحقق بعد أن يكون لدينا

---

[58] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١١٨ .

[59] المصدر نفسه ، ص ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(دولة – مدينة) فاضلة ، وأما عدم ذكره لـ (دولة – المعمورة) الفاضلة في سياق ما ينبغي ان يعمله جميع أهل المدينة الفاضلة ، فذلك ، في تقديرنا ، لأن تحقيق هذه الدولة لم يكن هدفه وغايته وأما ذكره لهذه الدولة العالمية كاجتماع إنساني كامل [60] فقد ورد كاحتمال ممكن من الناحية النظرية[61] لكنه عمليا بعيد المنال جدا ، إن صعوبة تحقيق هذا الهدف من الناحية العملية ، قد ترجع في أحد جوانبها – وفقا لرؤية الفارابي – إلي اختلاف الأمم القومية في طباعها ولسانها ، ومن ثم في مللها (سيأتي الحديث عن اختلاف الملل باختلاف الأمم عند الفارابي فيما بعد) .

ومن هذه الأقوال التي تدعم ما استنتجناه ، ما ذكره الفارابي عن أوجه معرفة أهل المدينة الفاضلة للأشياء المذكورة في النص المتقدم آنفا ، يقول فيه : " وهذه الأشياء تعرف بأحد وجهين : إما أن ترتسم في نفوسهم كما هي ، وإما أن ترتسم فيها بالمناسبة والتمثيل ، وذلك أن يحصل في نفوسهم مثالاتها التي تحاكيها ... ، وتحاكي هذه الأشياء لكل أمة ولأهل كل مدينة بالمثالات التي هي عندهم الأعرف فالأعرف ، وربما اختلف عند الأمم أكثره وإما بعضه ، فتحاكي هذه (الأشياء) لكل أمة بغير الأمور التي تحاكي بها الأمة (ص ١٤٨) الأخرى ، فلذلك يمكن أن يكون أمم فاضلة ومدن فاضلة تختلف ملتهم ، فهم كلهم يؤمون سعادة واحدة بعينها ومقاصد واحدة بعينها "[62] هذا النص الهام يؤكد عدة قضايا أحدها اختلاف الأعراف بين الأمم المختلفة ، وبين المدن في الأمة الواحدة ، وثانيها : تفكير

---

[60] المصدر نفسه ، ص ٦١ .

[61] المصدر نفسه ، ص ١١٨

[62] المصدر نفسه ، ص ص ١٤٧ – ١٤٨ .

الفارابي في (دول – مدينة) فاضلة ، و (دول – أمة) فاضلة وهـذه القضية الثانية تدعم ما قلناه آنفا في تحليل النص السابق وما رتبناه علي ذلك من القول بأن تفكير الفارابي كان في تحقيق (دولة – الأمة) الفاضلة بعد تحقيق (دولة – المدينة) الفاضلة ، وثالث القضايا يؤكدها هذا النص الأخير قضية اختلاف الملل باختلاف الأمم والمدن (سترد مناقشتها فيما بعد) .

ويقول الفارابي في نص آخر من عمل آخر ، ما يؤكد ما ورد في النصين السابقين ، وما يدعم ما استنتجناه (حول مقصوده في مشروعه الفكري) ، وهو ما ورد في مفتتح كتاب تحصيل السعادة ، حيث يقول : " الأشياء الإنسانية التي إذا حصلت في الأمم وفي أهل المدن ، حصلت لهم بها السعادة .... أربعة أجناس ... " [63] واضح هنا اهتمامه بـ " الأمم " و " المدن " معا ، كما نري أن تقديمه الأمم علي المدن كان له مبرر ، وهو أنه قدم ما هو في مركز اهتمامه، وما يشكل لديه الغاية الأخيرة قبل ما يشكل الغاية التي تسبقها ، وفي نص آخر طويل ، من هذا العمل (تحصيل السعادة) يتكرر ذكر " الأمم والمدن " عددا من المرات نذكر من ذلك قوله عن فضيلة الملك وصناعته إنه " يلزم ضرورة أن يكون من يستعملهم من أهل الفضائل وأهل الصنائع في تأديب [64] الأمم وأهل المدن طائفتين .. " [65] وقوله أيضا عن الذين يقومون بتأديب الأمم مشيرا إلي

---

[63] الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١١٩ .

[64] التأديب عند الفارابي " هو طريق إيجاد الفضائل الخلقية والصناعات العملية في الأمم"، الفارابي تحصيل السعادة ،ص ١٦٥.

[65] المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .

مؤهلات رئيس الأمة : "وينبغي أن يكون الذي في الأمة التي لأجلها أعطاهم ، ما أعطاه "[66] فالتركيز هنا علي الأمة التي تتشكل منها دولة – الأمة .

وفي كتاب الملة يبين الفارابي أهمية السعادة وكيف " تمكن في المدينة وفي الأمة السير والملكات التي بها السعادة القصوى .. [67] ويبين حقيقة مهنة رئاسة الدولة التي يري أنها تكون دولة – مدينة أو دولة أمة ، فيقول : " والسياسة هي فعل هذه المهنة وذلك أن تفعل الأفعال التي تمكن تلك السير وتلك الملكات في المدينة والأمة وتحفظ عليهم ... ، (ص ٥٥) ... ، والمدينة والأمة المنقادة لهذه السياسة هي المدينة الفاضلة والأمة الفاضلة ، والإنسان الذي هو جزء من هذه المدينة أو الأمة هو الإنسان الفاضل " [68] ، والواقع أن الفارابي يربط بوعي تام في مواضع عديدة من كتاب الملة [69] بين " المدينة والأمة " أو " المدينة الفاضلة والأمة الفاضلة " وهذا يأتي أحيانا بحرف العطف الواو أو بحرف " أو " ، وكلا الاستخدامين يؤكد ما ذهبنا إليه وهو أنه يفكر في دولة – الأمة ، فهي أحد الخيارين ، وأضعف الإيمان أن توجد دولة – مدينة ، علي أمل أن توجد أكثر من دولة – مدينة تنتمي إلي أمة واحدة ، فتتكون بتعاونها دولة – الأمة ؛ فهذه هي الهدف الأكمل والأمثل لمشروع الفارابي أما دولة المدينة فهي الهدف الأقل كمالا والأقرب أو الأيسر تحققا في هذا المشروع لكنه لا يقبل بأقل من دولة – مدينة ، فالدولة الفاضلة عند الفارابي لا تقل في حدها الأدنى عن دولة – المدينة ولا تزيد (من الناحية العلمية الواقعية) عن دولة – الأمة .

---

[66] المصدر نفسه ، ص ١٧٦ .

[67] الفارابي ، كتاب الملة ، ص ص ٥٤ – ٥٥ .

[68] المصدر نفسه ، ص ٥٤ – ٥٥ .

[69] الفارابي كتاب الملة ، ص ٥٥ ، ص ٥٦ ، ص ٥٩ – ٦٠ .

هذا الاعتقاد (بأن السعادة لا تتحقق إلا في دولة فاضلة) يقودنا إلي اعتقاد آخر ، هو : اعتقاده بأن ينبغي أن يكون تنظيم الدولة الفاضلة مماثلا لنظام بدن الإنسان التام (العالم الأصغر) ولنظام الكون (العالم الأكبر).

هذا الاعتقاد معروف في الدراسات الفارابية ونجده صريحا في كلامه عن " عضو الرئيس " في كتابه : المدينة الفاضلة [70] ، حيث يقول : " وكما أن العضو الرئيس في البدن هو بالطبع أكمل أعضائه وأتمها في نفسه وفيما يخصه ..... ، كذلك رئيس المدينة هو أكمل أجزاء المدينة فيما يخصه .. وكما أن القلب يتكون أولا ، ثم يكون هو السبب في أن يكون سائر أعضاء البدن والسبب في أن تحصل لها قواها وأن تترتب مراتبها ... ، كذلك رئيس هذه المدينة ينبغي أن يكون هو أولا ، ثم هو السبب في أن تحصل المدينة وأجزاؤها ... ، .

وكما أن الأعضاء التي تقرب من العضو الرئيس تقوم من الأفعال (ص ١٢١) الطبيعية التي هي علي حسب غرض الرئيس الأول بالطبع بما هو أشرف ... ، كذلك الأجزاء التي تقرب في الرياسة من رئيس المدينة تقوم من الأفعال الإرادية بما هو أشرف ... " [71] قصدنا من إيراد هذا النص متجزءا ، أن نؤكد اعتقاد الفارابي بأن الدولة الفاضلة تشبه البدن الإنساني التام الأعضاء .. (ولا يخفي – بطبيعة الحال – التركيز علي دور رئيس الدولة وهو ما سنعالجه في الاعتقاد التالي) .

ولتأكيد اعتقاد الفارابي في أن نظام الدولة الفاضلة مشابه لنظام الكون والموجودات نسوق قوله الآتي : " وتلك أيضا حال الموجودات ، فإن السبب

---

[70] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ص ١٢٠ – ١٢٦ .

[71] المصدر نفسه ، ص ص ١٢٠ – ١٢١ .

الأول نسبته إلي سائر الموجودات كنسبة ملك المدينة الفاضلة إلي سائر أجزائها ، فإن البريئة من المادة (ص ١٢٢) تقرب من الأول ودونها الأجسام السماوية ، ودون السماوية الأجسام الهيولانية ، وكل هذه تحتذي حذو السبب الأول وتؤمه وتقتفيه ويفعل ذلك كل موجود بحسب قوته ... ، وكذلك ينبغي أن تكون المدينة الفاضلة ، ... " [72] .

ويتجلى هذا الاعتقاد في موضع آخر حين تعرض الفارابي ، في كتابه الملة ، لمهام رئيس الدولة الفاضلة أثناء عرضه للموضوعات التي يعالجها " العلم المدني الذي هو جزء من الفلسفة ... "[73] ، حيث بين ما يحتاج الملك أو رئيس الدولة الفاضلة أن يعرفه ، من ذلك أن يعرف مراتب الموجودات في عالم انتهاء إلي المدبر الأول للعالم وكذلك قوي النفس الإنسانية وأعضاء البدن ومراتبها مؤكدا بعد ذلك " أنه يلزم أن يكون بين أجزاء الأمة الفاضلة بالأفعال عن الهيئات الطبيعية التي لها يجب أن يوجد مثلها في أقسام الأمة الفاضلة عن الهيئات والملكات اللاإرادية التي لها ... ، ونظير ذلك يتبين لمن تأمل أعضاء بدن الإنسان ... "[74] .

ويؤكد الفارابي في كتاب تحصيل السعادة اعتقاده بالفضائل بين الدولة الفاضلة والعالم أثناء تعريفه للعلم المدني قائلاً : " ... وهذا هو العلم المدني ، وهو علم الأشياء التي بها أهل المدن بالاجتماع المدني ينال السعادة كل واحد بمقدار ما له أعد بالفطرة ، ويتبين أن الاجتماع المدني والجملة التي تحصل من اجتماع

---

[72] المصدر نفسه ، ص ص ١٢١ – ١٢٢ .

[73] الفارابي ، كتاب الملة ، ص ٥٩ .

[74] المصدر نفسه ، ص ٦٥ .

المدنيين في المدن ، شبيه باجتماع الأجسام في جملة العالم ، ويتبين له (الناظر) أيضا في جملة ما تشتمل عليه المدينة والأمة نظائر ما تشتمل عليه جملة العالم ، ... " [75] .

هذه المماثلات التي رأيناها ، اعتقاد لم يقدم الفارابي عليه دليلا ، إذ اعتبره قضية مسلمة أو قضية واضحة لا تحتاج إلي برهان ، والحق أنها فكرة مغرية وتوحي بالكثير من الأفكار الإيجابية والمقنعة للكثيرين وربما يكون الفارابي قد استوحي جانبا من هذا الاعتقاد من أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام مثل قوله : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ... إلخ " (الحديث معروف) ، فهاهنا مماثلة بين البدن والأمة ، ومماثلة العالم الأكبر (الكون) بالعالم الأصغر (الإنسان) أمر كان معروفا في عصر الفارابي وعند الصوفية ، ولا يبعد أن يكون تولد لديه من هاتين المماثلتين . ومن حرص الفارابي علي تأسيس الدولة الفاضلة علي أسس وجودية ثابتة ، فكرة المماثلة بين نظام هذه الدولة ونظام كل من العالمين : الأكبر والأصغر ، كي تكون الأسس التي تقوم عليها المدينة الفاضلة ثابتة ثبوت نظام الكون وثبوت النوع الإنساني وطبيعته الثابتة .

يتصل بهذا الاعتقاد اعتقاد آخر يتعلق برئيس الدولة الفاضلة ودوره ومهمته فيها ، ويمكن التعبير عن هذا الاعتقاد بالآتي : رئاسة الدولة الفاضلة هي أهم الوظائف وأشرف المهن ، والرئيس فيها ينبغي أن يكون فيلسوفا بالحقيقة أو جماعة بينها فيلسوف ، وتنصيبه هو أول خطوة في إقامة الدولة الفاضلة .

---

[75] الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١٤٢ . وانظر مماثلة أخري في ص ١٤٣

يتجلي هذا الاعتقاد عند الفارابي في حديثه عن " العضو الرئيس " في كتابه : المدينة الفاضلة ، حيث بين – كما رأينا في النصوص التي قدمناها بصدد الاعتقاد السابق – أن منزلة رئيس الدولة منزلة أكمل الأعضاء في البدن ، فهو كالقلب ، وهو الذي بسببه تترتب كل أجزاء المدينة الفاضلة في مراتبها الصحيحة ، ونسبة منزلة الرئيس هذه لباقي أجزاء الدولة الفاضلة كنسبة منزلة السبب الأول لموجودات العالم إلي سائر الموجودات ، وأن كل أجزاء المدينة الفاضلة " ينبغي أن تحتذي بأفعالها حذو مقصد رئيسها الأول علي الترتيب [76] لأن مهنة الرئيس لا يخدم بها صناعة أخري ، ولا تعلو عليها أو ترأسها صناعة أو مهنة أخري [77] " بل تكون صناعته نحو غرضها تؤم الصناعات كلها ، وإياها يقصد بجميع أفعال المدينة الفاضلة ، ويكون ذلك الإنسان إنسانا لا يكون يرأسه إنسان أصلا " [78] ، إن مهنة رئيس الدولة هي " المهنة الملكية " [79]، وهذه المهنة الملكية الفاضلة أو " الرئاسة الفاضلة ، ضربان : رئاسة أولى ، ورئاسة تابعة للأولى ، فالرئاسة الأولي هي التي تمكن في المدينة أو الأمة السير والملكات الفاضلة أولا " من غير أن تكون تلك فيهم قبل ذلك ، وتنقلهم مع ذلك عن السير الجاهلية إلى السير الفاضلة ، فالذي يقوم بهذه هو الرئيس الأول ، والرئاسة التابعة للأولي هي التي تقتفي في أفعالها حذو الرئاسة الأولي والقائم بهذه الرئاسة يسمى رئيس السُنّة أو ملك السُنّة ورئاسته هي الرئاسة السُنيّة "[80] .

---

[76] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١٢٢ .

[77] المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .

[78] المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .

[79] الفارابي ، الملة ، ص ٥٨ .

[80] المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

واضح من قول الفارابي هذا ، الوارد في سياق كلامه عن الدين (الملة) ارتباط الدين بالسياسة في شخص الرئيس الأول للدين وهو النبـــي – الفيلســوف هــذا الشخص الذي يضع لأول مرة في جماعة ما ، أو جمع ما " آراء وأفعال مقـــدرة "[81] لتحقيق غرض معين هو " السعادة القصوي التي هي في الحقيقة ســعادة "[82] وهذا الجمع " ربما كان عشيرة وربما كان مدينة أو صقعا وربما كان امة عظيمة ، وربما كان أمما كثيرة "[83] ، كما نري أن الأمر يستدعي – ونحن بصدد اعتقاد الفارابي حول رئيس الدولة الفاضلة ودوره ومكانتــه فيــها – أن نبيــن موقــف الفارابي بشان الصلة بين النبي والفيلسوف ورئيس الدولة الفاضلة معتمدين أقواله في كتبه المختلفة ، فنقول : = النبي والفيلسوف كلاهما يملك الاســتعداد (معــد بالطبع) لمهمة رئاسة الدولة الفاضلة ، وكلاهما قد اكتســب بالجــهد الإرادي " الهيئة والملكة " اللازمة لهذه المهمة[84] ، ولذلك فهما قد وصلا " أكمــل مراتــب الإنسانية ،[85] وذلك أن القوة العاقلة لكل منهما وصلت كمالها بحلول العقل الفعال فيها[86] ، وكذلك وصلت القوة المتخيلة لكل منهما كمالها الذي يكون بالقدرة علي الاتصال المباشر بالعقل الفعال ، أما بينهما فإنه مرتبــط بفيــض العقــل الفعــال واتجاهه إلي واحدة من هاتين القوتين (العاقلة والمتخيلة) ، وهذا الأمر يرجـــع إلي الله عز وجل ، فإذا أفاض الله علما إلي العقل الفعال ليفيضه " بتوسط العقـــل

---

[81] المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

[82] المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

[83] المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

[84] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١٢٢ .

[85] المصدر نفسه ، ص ١٢٥.

[86] المصدر نفسه ، ص ١٢٥

المستفاد ... ، يكون بما يفيض منه إلي عقله المنفعل حكيما فيلسوفا ومتعقلا علي التمام "[87] ، فإذا أفاض الله علما إلي العقل الفعال ليفيضه إلي القوة المتخيلة كـــان مثل هذا المرء " بما يفيض منه (الله) إلي قوته المتخيلة نبيا منذرا بما سيكون ، ومخبرا بما هو الآن من الجزئيات " [88] وهكذا فإن المرء يمكن أن يجتهد ، إذا ما كان معدا بالطبع ، لكي يصبح فيلسوفا بالحقيقة ، لكنه لا يستطيع باجتهاده وحـــده أن يصبح نبيا ، لأن الذي يقرر ذلك هو الله عز وجل ، ومع ذلك فكلاهما – كما تقدم مؤهل لرئاسة الدولة الفاضلة .

= هناك أول لدين ما وأنبياء توالي أو خلفاء لهذا الأول وهؤلاء الأنبياء الخلفـــاء للنبي الأول في دين ما (أو الرئيس الأول لملة ما) هم " مثله في كـــل الأحوال " [89]، أي في تلقيهم الفيض عن العقل الفعال وفي تقديرهم لكل من الآراء والأفعـــال في الملة ، ولذلك قد يغير الواحد منهم " كثيرا مما شرعه الأول "[90] أو السابق له وهذا التغيير لا يكون بسبب خطأ وقع فيه النبي الأول ، إذا هو أمر يستدعيه تغير الأحوال والأوضاع بتغير الزمان ، ذلك أن النبي " الأول قدره بما هو الأصلح في زمانه ، وقدر هذا بما هو الأصلح بعد زمان الأول " [91] وهذا التغيير الذي ليـــس مقصده التغيير لما فيه المصلحة وما هو الأصلح ، هو أمر طبيعي ، إذا لو قـــدر

---

[87] المصدر نفسه ، ص ١٢٥

[88] المصدر نفسه ، ص ١٢٥

[89] الفارابي ، الملة ، ص ٤٩ .

[90] المصدر نفسه ، ص ٤٩.

[91] المصدر نفسه ، ص ٤٩.

للنبي الأول أن يبعث ثانية إلي الحياة في الزمان الجديد الذي تغير واقع الأحـــوال فيه " وشاهده لغيره أيضا "[92] . وعليه فالفرق بين النبي الأول (أو الرئيـــس الأول) للدين والأنبياء التوالي فيه ، هو أن الأول يضع الدين " لجمع " مـــا لأول مرة وأن التوالي يتابعون علي الدين نفسه بعامة أي يـــأخذون بالمبـــادئ العامـــة والكـــلية فـــيه دون أن يؤثر ما قد يقومون به من تغـــيرات علي مجمل الصفات العامة له .

والنبي الأول للدين الفاضل هو الذي يكون رئيســـا للمدينـــة الفاضلـــة ، والأنبياء التالون في هذا الدين ينبغي أن يكونوا هم رؤساء المدينة الفاضلة ، كـــل في زمانه .

= إذا انقطع حبل الأنبياء ولم يكن في العصر أنبياء يكون الفيلسوف بالحقيقة أولي الناس برئاسة المدينة الفاضلة أو يكون مشاركا في الرئاسة – كما أوضحـــه فـــي قوله " في خصال رئيس المدينة الفاضلة "[93] .

= هناك عدد من المرادفات لعبارة : " رئيس الدولة الفاضلـــة " هـــي : الإمـــام والفيلسوف وواضع النواميس والملك والرئيس الأول ، يؤكد الفارابي هذا بقولـــه بعد تقديم وشرح : " فإذا معني الإمام والفيلسوف وواضع النواميس معنـــي كلـــه واحد " [94] ، وقوله : " فلذلك صار الملك علي الإطلاق هـــو بعينـــه الفيلســـوف وواضع النواميس " [95] وقوله " فتبين أن معني الفيلسوف والرئيس الأول وواضع النواميس والإمام ، معني كله واحد ، وأي لفظة ما أخذت من الألفاظ ثم ما يـــدل

---

[92] المصدر نفسه ، ص ٤٩.

[93] الفارابي ،المدينة الفاضلة ، ص ص١٢٧ – ١٣٠.

[94] الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١٨٧ .

[95] المصدر نفسه ، ص ١٨٩ .

عليه كل واحد منها عند جمهور أهل لغتنا وجدتها تجتمع في آخر الأمر في الدلالة علي معني واحد بعينه " [96] .

هذه الأقوال التي سقنا هنا تشير إلي مكانة الفيلسوف في الدولة الفاضلة وهي مكانة الرئاسة ، وقمة الهرم كما تشير من طريق غير مباشر إلي مهام رئيس الدولة ، فالفيلسوف بإطلاق هو من يملك العلوم النظرية أو " العلم الذي يحتوي المعقولات ببراهين يقينية " [97] ، وله قدرة علي إيجاد الفضائل " جميعا في المدن والأمم "[98] ، " واسم الملك يدل علي التسلط والاقتدار " [99] ، و " معني الإمام في لغة العرب فإنما يدل علي من يؤتم به ويتقبل "[100] ، وواضع النواميس هو المشرع للقوانين ، وهكذا تكون أبرز مهام رئيس الدولة الفاضلة هي الحكم ، والقدوة ، والتشريع وإيجاد جميع أجناس الفضائل في الدولة .

= يبقي توضيح دلالة " الرئيس الأول " . رأينا آنفا أن الفارابي يطلق هذا المصطلح علي النبي الأول الذي يضع " لجمع " ما دينا ما ، فهو بهذا الوصف الرئيس الأول لهذا الدين ، كما ينطبق هذا الوصف علي النبي الأول الذي يقيم دولة فاضلة " للجمع " الذي لم تكن له دولة قبل ذلك أو كانت سيرهم جاهلية ، فيكون رئيسا أول لهذه الدولة يرأس غيره ولا يرأسه أحد . وهذا المعني الأخير هو ما أوضحه في المدينة الفاضلة ، حين قال " وكما أن الرئيس الأول في جنس لا يمكن أن يرأسه شيء من ذلك الجنس ... ، كذلك الرئيس الأول للمدينة

---

[96] المصدر نفسه ، ص ١٩٠ .

[97] المصدر نفسه ، ص ١٨١ .

[98] المصدر نفسه ، ص ١٨٤ .

[99] المصدر نفسه ، ص ١٨٨ .

[100] المصدر نفسه ، ص ١٨٩ .

الفاضلة ينبغي أن تكون صناعته صناعة لا يمكن أن يخدم بها أصلا ... ، ويكون ذلك الإنسان إنسانا لا يكون يرأسه إنسان أصلا .. " [101] وعليه يكون لفظ الرئيس فى سياق الدولة الفاضلة يشير إلى معنى الرئيس الأعلى الذى لا يرأسه أحد فى هذه الدولة ويكون فى سياق الحديث عن الدين الفاضل فقط هو الواضع الأول لهذا الدين .

من هذا التوضيح لمعنى " الرئيس الأول " ، نستطيع القول باطمئنان بأن ما يقصد الفارابى بالرئيس الأول للدولة الفاضلة ، باعتبار ان تحقيق هذه الدولة الفاضلة هو الغاية العملية لمشروعه الفكرى الاجتماعى السياسى ، هو معنىالرئيس الأعلى الذي لا رئيس فوقه ،وانه مع ذلك ليس نبياً وإنما هو فيلسوف كامل (أو فيلسوف بالحقيقة أو فيلسوف بإطلاق) ، ويستطيع أن يقوم بكل مهام النبى من تقدير الآراء والأفعال وإيجاد أجناس الفضائل في الآخرين معرفة هذا الفيلسوف الكامل الذى يمكن أن يوصف بأنه ملك أو إمام أو رئيس أول أو واضع نواميس ــ كما أشرنا آنفا ــ وتقليده المنصب الأول والأعلى فى جماعة ، هو الخطوة الأولى فى قيام الدولة الفاضلة المنشودة **فرئيس هذه المدينة الفاضلة** ينبغي أن يكون هو أولاً ثم يكون هو السبب فى أن تحصل المدينة وأجزاؤها والسبب فى أن تحصل الملكات الإرادية التي لأجزائها فى أن تترتب مراتبها ، وان اختل منها جزء كان هو المرفد له بها يزيل عنه اختلاله" [١٠٢] واضح من قول الفارابى هنا أن الفيلسوف ــ الرئيس هو الأساس الذي ترتكز عليه الدولة الفاضلة : فهي به تبدأ وبسببه تتحدد وتترتب أجزاؤها ، وبه وبتدبيره يصلح ما

---

[101] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١٠١ .

[١٠٢] المصدر نفسه ، ص ١٢٠.

يمكن أن يطرأ فيها من خلل . لكن هل يمكن أن يوجد الفيلسوف الكامل ولا ينتفع به ، فلا ينصب رئيسا للدولة في المدينة أو الأمة التي يعيش فيها أو ينتمي إليها ؟ الجواب على ذلك عند الفارابي أنه أمر ممكن ، إن هذا الفيلسوف الذي بلغ هـذا المبلغ من الكمال " ولم ينتفع به ... فليس عدم النفع به من قبل ذاته ، ولكن من جهة من لا يصغي ، أو من لا يرى أن يصغي اليه " [١٠٣] ، إن حاله هي حال الطبيب الذى هو طبيب وان لم يمارس مهنة الطب لأسباب مختلفة " فالملك أو الإمام بماهيته وبصناعته ملك وإمام ، سواء وجد من يقبل منه أو لم يجد ، أطيع أو لم يطع ، وجد قوما يعاونونه على غرضه أو لم يجد ، كما أن الطبيب بمهنته وبقدرته على علاج المرضى وجد مرضى أو لم يجد ،وجد آلات يستعملها في فعله أو لم يجد "كان ذا يسارا أو فقر إذ لا يزيل طبه إلا يكون له شيء من هذه كذلك لا يزيل إمامة الإمام ولا فلسفة الفيلسوف ولا ملك الملك إلا تكون له آلات يستعملها فى أفعاله ولا ناس يستخدمهم فى بلوغ غرضه .[١٠٤] "

هذه العبارات الأخيرة لا تخلو – حسب ما أحسسناه – من الإشارة إلى شخص الفارابي وذاته ، وكأنه بهذه العبارات يعزى نفسه " انه لم ينتفع به وقد بلغ ذلك المبلغ " من الفلسفة والحكمة وانه وان كان هذا ما حدث له فذلك لا يعنى التشاؤم التام واليأس وعدم بذل الجهد النظرى فى توضيح ما ينبغى أن يكون عليه حال الدولة الفاضلة ، هذه الدولة التي رأينا أنها لا تقوم إلا بالفيلسوف . هذا يقودنا إلى الاعتقاد التالي : ما دامت الدولة الفاضلة لا تقوم إلا بالفيلسوف ، ولا يكون

---

[١٠٣] الفارابى ،تحصيل السعادة ، ص ١٩٥

[١٠٤] المصدر نفسه ، ص ص ١٩٥ـ ١٩٦

فيلسوف دون فلسفة ، فلننظر فى اعتقاد الفارابى المتعلق بالفلسفة ودورها فى تحقيق الدولة الفاضلة ومن ثم فى تحقيق السعادة .

يمكن صياغة اعتقاد الفارابى حول الفلسفة ودورها فىتحصيل السعادة كما يلي : تحقيق السعادة لجماعة ما يبدأ بتعليم الفلسفة النظرية الحقيقية .

يؤكد الفارابى هذا الاعتقاد فى اكثر من موضع من ذلك قوله فى تحصيل السعادة عن الفلسفة النظرية التى هى " العلم الذى يعطى الموجودات معقولية ببراهين يقينية [١٠٥] " إنها " أقدم العلوم وأكملها رئاسة وسائر العلوم الأخرى الرئيسة تحت رئاسة العلم .... [و] هذه العلوم إنما يحتذى حذو ذلك العلم وتستعمل ليكمل الغرض بذلك العلم ، وهو السعادة القصوى والكمال الأخير الذى يبلغه الانسان " [١٠٦] ، هذه السعادة وهذا الكمال يحصلان فى الدولة الفاضلة إذا حصلت فيها على مستوى الأفراد وعلى مستوى مجتمع الدولة أجناس الفضائل وهى أربعة مرتبة ترتيبا يعتمد فيه اللاحق على السابق : الفضائل النظرية والفضائل الفكرية والفضائل الخلقية والصناعات العملية[١٠٧] ، والفضائل النظرية هى العلوم التى الغرض الأقصى منها أن تحصل الموجودات .. معقولة متيقناً بها فقط [١٠٨] فمن اكتسب هذه العلوم وهى الفلسفة بفروعها كلها ، النظرية والعملية ، اكتسب الفضيلة النظرية أما الفضيلة الفكرية فهى الماهية والقوة التى بها تستنبط وتميز الأغراض التى شأنها أن تتبدل على المعقولات التى شأن جزئياتها ان توجد بالإرادة عندما يلتمس إيجادها بالفعل عن الإرادة فى زمان محدود ومكان محدود

---

[١٠٥] المصدر نفسه ، ص ١٧٨.

[١٠٦] المصدر نفسه ، ص١٨١.

[١٠٧] المصدر نفسه ، ص١١٩.

[١٠٨] المصدر نفسه ، ص١١٩.

وعند مراد محدود طال الزمان أو قصر ،عظم المكان أو صغـر" [١٠٩] ، فعلـى سبيل المثال " العفة اليسار وأشباه ذلك هى معان معقولة إرادية [١١٠] وإيجادها فى الواقع الفعلى يعنى أن توجد فى مكان ما وزمان ما بأوصـاف عرضيـة معينـة تختلف باختلاف البيئات والأمم والأزمان ، بحيث تكون نافعة فـى أن يتـم بـها تحقيق غاية ما وغرض معين ،وهذا كله يحتاج إلى العلم النظرى[١١١] ،ولذلـك كانت " الفضيلة الفكرية الرئيسة جداً لا يمكن ان تكون تابعة للفضيلـة النظريـة [١١٢] ، والفضائل الخلقية مرتبطة بالفضائل الفكرية تتجلى فى التعامل مع الآخرين عندما نستعمل الفضائل الفطرية لتحقيق غاياتنا وأغراضنا[١١٣] ، لكن الاخيرة أى " الفضائل الفكرية .. سابقة للفضائل الخلقية[١١٤] ، أما الصناعات العمليـة فـهى القدرة العملية على إنجاز الأعمال المطلوبة وفيها صناعات جزئية وكلية ، فمثلا : صناعة الجيوش هى " الصناعة التى إنما يبلغ الغرض منـها باسـتعمال أفعـال الصنائع الحربية الجزئية[١١٥] " .

إن حدوث هذه الفضائل على الترتيب المتقدم وصفه ، يؤدى الى تحقيـق السعادة لأهل الدولة الفاضلة والخطوة الأولى ــ كما أوضحناهـا فـى الاعتقـاد السابق ــ هى أن يوجد إنسان له هذه الفضائل فى صورتها الكاملة وهو الذى قلنا انه الفيلسوف الكامل ، والخطوة التالية أو " ما يبقى بعد هـذا [هـو] أن تحصـل

---

[١٠٩] المصدر نفسه ، ص ص ١٤٩ــ ١٥٠

[١١٠] المصدر نفسه ، ص ص١٤٧ــ ١٤٨

[١١١] انظر تفصيل ذلك فى المصدر نفسه ص ص ١٤٥، ١٥٩.

[١١٢] المصدر نفسه ، ص١٥٩.

[١١٣] المصدر نفسه ، ص١٥٩.

[١١٤] المصدر نفسه ، ص١٦٠.

[١١٥] المصدر نفسه ، ص١٥٨

[الفضائل] الجزئية فى الأمم والمدن " [١١٦] وهذا يحتاج إلـــى " أن نعلـم كيـف الطريق إلى إيجاد هذه (الفضائل) الجزئية في الأمم والمدن " وهذه هى مهمـــة الفيلسوف بالحقيقة أو الكامل الذى له كل أجناس الفضائل على اعظم ما يكـــون ، ذلك أن " الذى له هذه القوة العظيمة ينبغى ان تكون لـــه قـدرة علـى تحصيـل جزئيات هذه فى الامم والمدن " [١١٧] ،ويقوم هذا الفيلسوف بهذه المهمة فى الدولة " بطريقين أوليين أو رئيسين هما : التعليم والتأديب والتعليم هو إيجـاد الفضـائل النظرية فى الأمم والمدن [١١٨] ، والتأديب هو إيجاد الفضائل الخلقية والصناعات العملية فى الأمم[١١٩] "

والذى يأتى أولا هو التعليم ، أي تعليم الفلسفة بكل فروعها ، ويقوم بذلك " الأئمة والملوك .... ، أو من سبيله أن يستحفظ العلوم النظرية " [١٢٠] وأول هذه العلـوم النظرية هو العلم الذى نميز به الطرق المختلفة " التـــى توقعنـا فـى أصنـاف المطلوبات اعتقادات مختلفة [١٢١] والعلامات التى تخص كل طريـــق ، فنعـرف الطريق الموصل إلى الحق واليقين أو إلى الظن والإقناع [١٢٢] ، وهذا العلم علـم

---

[١١٦] المصدر نفسه ، ص ١٦٤

[١١٧] المصدر نفسه ص ص ١٦٤ ــ ١٦٥

[١١٨] المصدر نفسه ص ١٦٥.

[١١٩] المصدر نفسه ، ص ١٦٥.

[١٢٠] المصدر نفسه ، ص١٦٥.

[١٢١] المصدر نفسه ، ص١٢٠.

[١٢٣] المصدر نفسه ، ص ص ١٢١ــ١٢٢

[١٢٢] المصدر نفسه ، ١٢٢

[١٢٤] المصدر نفسه ص ١٢٢، ص ١٤٣. انظر فى أقسام العلوم الفلسفية عند الفارابى : د. عزمى طه السيد احمد : فلسفة الدين عند الفارابي ، دار الشباب ، قبرص ١٩٩٤ م .

المنطق وبعد إتقانه ننتقل إلى " التماس علم الموجودات[١٢٣] وقد ابـــان الفـــارابى تفصيل هذه الموجودات ،وترتيب موضوعاتها التى تشكل جملة علوم هى العلـــوم الفلسفية المعروفة ".[١٢٤]

ويرى الفارابى فى رسالة **التنبيه على سبيل السعادة** ، انه يجب قبل البدء بدراسة المنطق أن نعرف شيئا من صناعة النحو وان ناخذ من صناعة النحـــو مقدار الكفاية فى التنبيه على أوائل هذه الصناعة[١٢٥] " (أي المنطق) وهو الجزء الذى يبحث فى " أصناف الألفاظ الدالة على أصناف المعـــانى المعقولـــة " [١٢٦] ويحصرها .

والواقع أن هذا القدر المشار اليه في علم النحو والمنطـــق همـــا بمثابـــة الآلات اللازمة لتعلم الفلسفة ،وهذه العلوم فى حد ذاتها لا تحقق السعادة المطلوبة لأهل الدولة الفاضلة وإنما الذى يحقق ذلك الفلسفة الحقيقية .

هذه الفلسفة التى يتحدث عنها الفارابى والتى دورها فى الدولة الفاضلة ما تقدم وصفه ، لم تنشأ فى المجتمع الإسلامي ،وإنما نقلت اليه خلال سلســـلة مـــن الانتقالات ، فهذه الفلسفة او " هذا العلم ،كما يقال انه كان فى القديم فىالكلدانييـــن وهم اهل العراق ،ثم صار اهل مصر ثم انتقل الى اليونانيين ،ولم يزل الى انتقـــل الى السريانيين ثم الى العرب " [١٢٧] ، وهو اليوم ، أي فـــى عصـــر الفـــارابى ،

---

[١٢٥] الفارابى ، رسالة التنبيه ، ص ٢٣٦.

[١٢٦]. المصدر نفسه ، ص ٢٣٥ــ٢٣٦.

[١٢٧] الفارابى ، رسالة التنبيه ، ص٢٣٦.

"متاح باللسان العربى" [١٢٨] ، ويرى الفارابى ان الفلسفة قد اكتملت على يد أرسطو (٣٨٤ــ ٣٢٢ق.م) وأصبحت " صناعة تتعلم وتعلم[١٢٩] "

هكذا ــ فى اعتقاد الفارابى ــ تكون الخطوة الأولى لإقامة الدولة الفاضلة هى أن يوجد الفيلسوف الذى حصل هذا التراث المنحدر من اقدم الأمم والذى اكتمل تقريبا على يد أفلاطون[١٣٠] ،وكليا على يد أرسطو ، ثم تكون الخطوة التالية البدء بتعليم هذا التراث الفلسفي فى الصورة التى وصلتنا كما هو عند أفلاطون وأرسطو .

هذا ما فعله الفارابي حين وصل الى عرض هذا الموقف فى نهاية كتاب تحصيل السعادة مؤكداً أن " الفلسفة التي هذه صفتها إنما تأدت إلينا من اليونانيين ، عن أفلاطون وأرسطوطاليس ....، ونحن نبتدئ أولاً بذكر فلسفة أفلاطون ... ، ونفعل مثل ذلك فى الفلسفة التي أعطاناها أرسطوطاليس .... " [١٣١] ، وهذا ما فعله الفارابي حيث قام بعرض موجز لفلسفة كل من هذين الفيلسوفين البارزين[١٣٢] ، كخطوة رئيسية فى مشروعه الفكري على المستوى النظري ، مبيناً للناس الطريق الذي ينبغي عليهم أن يسلكوه لتحصيل السعادة ، وهو طريق الفلسفة وتعلمها .

نود هنا أن نطرح سؤالاً ، وهو : هل تكتمل خطوات إقامة الدولة الفاضلة بما تقدم وصفه ، أعني بتنصيب الفيلسوف الكامل رئيساً للدولة وتعليم الفلسفة للناس ؟

---

[١٢٨] المصدر نفسه ، ص ١٨٢

[١٢٩] الفارابى ، الحرف ص ص ١٥١ــ ١٥٢.

[١٣٠] المصدر نفسه ، ص ١٥١.

[١٣١] الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١٩٦ .

[١٣٢] أنظر الهامش رقم (٣٨) حول كتاب الفلسفتين .

جواب الفارابي هو أن هناك عنصراً آخر له دور رئيسي وهام فى قيـــام الدولـــة الفاضلة هو : وجود " ملة مشتركة " [١٣٣].

يوصلنا هذا إلى الاعتقاد التالي ، وهو : لا تتم السعادة لأهل الدولة الفاضلة إلا إذا كان فيها ملة فاضلة مشتركة .

معلوم أن الفارابي قد خصص كتاباً لتوضيح حقيقة الدين أو الملة هو : كتاب الملة كما تعرض للحديث عن الدين فى مواضع أخرى من كتبه منها : كتاب الحروف و تحصيل السعادة و المدينة الفاضلة وغيرها[١٣٤] ، مما يشير إلى أن قضية الدين كانت من الموضوعات التي شغلت تفكير الفارابي .

يرى الفارابي أن " الشريعة والملة والدين أسماء مترادفة "[١٣٥] ، ومع ذلك فقـــد كان يستعمل لفظ " الملة " ليشير الى دلالة هذه الألفاظ المترادفة .

سنكتفي هنا – لتوضيح اعتقاد الفارابي هذا – بتوضيح موجز لمفهوم الدين [١٣٦] ودوره فى تحقيق السعادة لأهل المدينة الفاضلة كما يراه الفارابي ، فنقول : يتألف الدين من جزأين رئيسيين : آراء معينة تتعلق بحقيقة الله سبحانه وتعالى والكـــون والإنسان ؛ وأفعال معينة مقننه تتصل بما ينبغي أن يفعله أتباع هذا الدين ؛ ويضع هذا الدين لأول مرة شخص هادفاً من ذلك أن يحقق غرضاً محدداً بالنسبة لـــه ،

---

[١٣٣] الفارابي ، الملة ،ص ٦٦ .

[١٣٤] أنظر : الفارابي ، الحروف ،ص ص ١٥٣-١٥٧، والفارابي ، تحصيل السعادة ص ص ١٨٤-١٨٥ ، ص ص ١٩٠-١٩١ ، والفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ص ١٤٦-١٥٠. وأنظر تفصيلا ت وشروحات وتوضيحات أوفى عن الدين فى كتابنا : د. عزمي طه السيد أحمد ، فلسفة الدين عند الفارابي ص ص ٩-٧٦ ،ص ص ١٣٦-١٣٧ .

[١٣٥] الفارابي ، الملة ،ص ٤٦ .

[١٣٦] أنظر تفصيلا ت أوفى عن مفهوم الدين كتابنا : فلسفة الدين عند الفارابي ، ص ص ١٥-٢٢ .

لكنه متصل بالجماعة التي ستنتمي إلى هذا الدين وتطبقه ، وهذا ما يفيده قول الفارابي معرفاً الدين : " الملة هي آراء وأفعال مقدرة مقيدة بشرائط يرسمها للجمع رئيسهم الأول ، يلتمس أن ينال باستعمالهم لها غرضاً له فيهم أو بهم محدوداً "[١٣٧] .

ويمكن قسمة الدين إلى قسمين : دين فاضل ودين غير فاضل ، ويكون الدين فاضلاً عندما يكون هدف الواضع الأول للدين ، وكذلك ما قدره من آراء وأفعال مما يوصل الى الهدف هو " أن ينال هو وكل من تحت رئاسته السعادة القصوى التي هى فى الحقيقة سعادة " [١٣٨] " فإن كان هدف واضع الدين تحقيق منفعة شخصية أو تحقيق خيرات غير حقيقية لأتباع هذا الدين ، يكون هذا الدين ديناً غير فاضل " [١٣٩] .

واضح هنا أن الدين الفاضل يلتقي مع الدولة الفاضلة فى الهدف المشترك وهو تحقيق السعادة القصوى الحقيقية ويلتقي مع الفلسفة أيضاً فى الهدف نفسه ، بل ويلتقي مع الفلسفة قبل مرحلة الهدف - كما سيأتي توضيحه فى الاعتقاد التالي - وأما دور الدين فهو فى غاية الأهمية لهذا الهدف المشترك ، وبيانه مرتبط بما تقدم ذكره من كون نظام الدولة الفاضلة مشابهاً لنظام الكون ونظام البدن التام ، وأن مهمة رئيس هذه الدولة فى تدبير شؤونها مشابهة لتدبير الله سبحانه وتعالى للكون حيث " يلزم أن يكون بين أجزاء الأمة الفاضلة ائتلاف وارتباط وانتظام وتعاضد بالأفعال ...كالذي يوجد فى أجزاء العالم من الائتلاف والارتباط

---

[١٣٧] الفارابي ، الملة ، ص ٤٣ .

[١٣٨] المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

[١٣٩] المصدر نفسه ص ص ٤٣ - ٤٤ .

والانتظام والتعاضد بالأفعال عن الهيئات الطبيعية التى لها " [١٤٠] ، كما يلزم رئيس الدولة الفاضلة أن يؤدب أفراد هذه الدولة بحيث تصبح لديهم هيئات وملكات راسخة تصدر عنها أفعال التعاون والتعاضد والائتلاف بسهولة ويسر ، كما هو الحال أيضاً بالنسبة ل" أعضاء بدن الإنسان " [١٤١] كما يلزمه أن يستديم وجود هذه الهيئات والملكات فيهم [١٤٢] " وبالجملة فإنه [رئيس الدولة الفاضلة] ينبغي أن يتأسى بالله ويقتفي (ص٦٦) آثار تدبير مدبر العالم فيما أعطى أصناف الموجودات وفيما دبر به أمورها ... فيجعل هو أيضاً فى المدن والأمم نظائرها ..، ليصل لأجل ذلك جماعات الأمم والمدن الى السعادة فى هذه الحياة وفى الحياة الآخرة "[١٤٣] هذه المهمة الملقاة على عاتق رئيس الدولة الفاضلة تستلزم أمرين لا يغني أحدهما عن الآخر ، بل لابد من تحقيقهما كليهما ؛ الأول " أن يكون الرئيس الأول للمدينة الفاضلة قد عرف الفلسفة النظرية على التمام ، لأنه لا يمكن أن يقف على شيئ مما فى العالم من تدبير الله تعالى حتى يتأسى به إلا من هناك " [١٤٤] ، والأمر الثاني أن تحقيق ما أشير إليه آنفاً من ائتلاف وتعاضد وارتباط وتعاون ..إلخ ، " هذه كلها لا تمكن ، إلا أن تكون فى المدينة ملة مشتركة تجتمع بها آراؤهم واعتقاداتهم وأفعالهم ، وتأتلف بها أقسامهم وترتبط وتنتظم ، وعند ذلك تتعاضد أفعالهم وتتعاون حتى يبلغوا الغرض الملتمس وهو

---

[١٤٠] المصدر نفسه ، ص٦٥ .

[١٤١] المصدر نفسه ، ص٦٥ .

[١٤٢] المصدر نفسه ، ص ٦٥ .

[١٤٣] المصدر نفسه ، ص ص ٦٥ - ٦٦.

[١٤٤] المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

" السعادة القصوى " [١٤٥] هذا النص القصير الذي اختتم به الفارابي كتاب الملة ، يلخص بدقة دور الدين فى الدولة الفاضلة ، فقد تضمن هذا النص ثمان مهام أساسية يقوم بها الدين يبدو أنه لا مناص من تحقيقها حتى يتحقق الهدف الأخير وهو السعادة القصوى " .

بعد أن تأكد – حسب ما نراه وفى ضوء ما تقدم آنفاً – اعتقاد الفارابي هذا حول الدور الهام للدين فى الدولة الفاضلة ، وقبله الدور الهام للفلسفة ومكانتها الرئيسية فى هذه الدولة ، وهذا يوصلنا الى الاعتقاد التالي المتعلق بالصلة بين الفلسفة والدين فى سياق مشروع الفارابي الفكري الهادف الى تحقيق الدولة الفاضلة والسعادة القصوى ويمكن صياغة هذا الاعتقاد كالآتي : الملة الفاضلة مشابهة ومحاكية للفلسفة الحقيقية وتابعة لها .

الفلسفة عند الفارابي هى " العلم بالموجودات بما هى موجودة " [١٤٦] " ومقصودها تحصيل الجميل فقط " [١٤٧] وتنقسم الى قسمين : قسم أو صنف " به تحصل معرفة الموجودات التي ليس للإنسان فعلها ، وهذه تسمى النظرية ، والثاني به تحصل معرفة الأشياء التي شأنها أن تفعل ، وهذه تسمى الفلسفة العملية والفلسفة المدنية " [١٤٨] والملة الفاضلة شبيهة بالفلسفة ، وكما أن الفلسفة منها نظرية ومنها

---

[١٤٥] المصدر نفسه ص ٦٦ .

[١٤٦] الفارابي كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين : أفلاطون الإلهي وأرسطوطاليس ، قدم له وعلق عليه : د. ألبير نصري نادر ، ط٤ ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٨٠ .

[١٤٧] الفارابي ، رسالة التنبيه ، ص ٢٢٣ .

[١٤٨] المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ .

عملية ...[ص٤٧] ... كذلك " الملة " [١٤٩] ، ذلك أن الملة – كما ذكرنا فيما تقدم – تتكون من جزأين : آراء مقدرة (نظري) وأفعال مقدرة (عملى) .

ليس هذا التشابه هو الوحيد ، فهناك تشابه فى الغاية النهائية لكل منهما وهى تحصيل السعادة القصوى ، وتشابه بين الواضع الأول للدين الفاضل وخلفائه من جهة والفيلسوف من جهة أخرى ، وتشابه فى الموضوعات الرئيسية التي تتعرض لها كل من الفلسفة والدين ، إذ " يشتملان على موضوعات بأعيانها ، وكلتاهما تعطيان المبادئ القصوى للموجودات " [١٥٠] ، لكن التشابه الجوهري هو أن ما ينطوي عليه الدين هو مثالات تحاكي الحقائق التي وصلت إليها الفلسفة ببراهين يقينية [١٥١] . أما الاختلافات بين الفلسفة والدين فهي موجودة ، من ذلك أن الفلسفة تعتمد منهج البراهين اليقينية فى حين يعتمد الدين منهج الإقناع ، أو " الطرق الإقناعية " [١٥٢] ، ومنها أن الفلسفة موجهة الى الخاصة أم الدين فيخاطب به العامة بالدرجة الأولى ، والخاصة هم " الحكماء " و " من يلى الحكماء " من أهل الدولة الفاضلة " والباقون عامة وجمهور "[١٥٣] ، ومنها أيضاً أن الفلسفة – في نظر الفارابي وصلت إلى درجة تمامها على يد أرسطو واستقر " الأمر على

---

[١٤٩] الفارابي ، الملة ،ص ص ٤٦-٤٧. أنظر تفصيلا ت الشبوالإ ختلا ف بين الفلسفة والدين فى كتابنا فلسفة الدين عند الفارابي ص ص ٧٧ – ١٠٣ .

[١٥٠] الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١٨٥ .

[١٥١] تكرر هذا المفهوم فى أكثر من موضع عند الفارابى ، أنظر : الحروف ، ص ص ١٥٣ – ١٥٦ ، المدينة الفاضلة ، ص ص ١٤٧- ١٤٩ ، تحصيل السعادة ، ١٨٤ – ١٨٥ الملة ، ص ٤٦ ، وغيرها.

[١٥٢] الفارابي ، الحروف ، ص ١٥١ .

[١٥٣] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١٤٧ ، الملة ، ص ٤٧ ، تحصيل السعادة ، ص ص ١٨٠ – ١٨١ .

ما استقر عليه " [١٥٤] ، ولم يبق فى " الفلسفة ... موضع فحـــص " [١٥٥] ، أمـــا الدين فإنه يمكن أن يجرى عليه التغيير والتعديل ليتلاءم مع الزمان الجديد [١٥٦]

هذه الاختلافات التي لا تمس الموضوعات والمبادئ والغايات لا تجعل من الدين مناقضاً أو مضاداً للفلسفة ، ويظل الحكم بالتشابه بينهما ، وليس التطابق التام من كل وجه ، هو الحكم العام المجمل الذى يمكن إطلاقه بحسب اعتقـــاد الفـــارابي . ومع وجود التشابه- المتقدم بيان عناصره آنفاً - توجد علاقة أخرى هـــى تبعيـــة الدين للفلسفة ، ولهذه التبعية أنواع ، منها :

* التبعية الزمانية ، بمعنى أن ظهور الفلسفة متقدم زماناً على ظهور الدين ، وهو معنى يذكره الفارابي بعبارة صريحة حيث يقول : " ... وكل ما تعطي الفلسفة فيه البراهين اليقينية ، فإن الملة تعطي فيه الإقناعات ، والفلسفة تتقدم بالزمان الملة " [١٥٧] ، وفى موضع آخر يبين هذه التبعية الزمانية فى قوله : " إلا أن الملة علـــى الجهتين [الصحيحة والفاسدة] إنما تحدث بعد الفلسفة ، إما بعد الفلسفة اليقينيـــة ... [فتحدث الملة الصحيحة] ، وإما بعد الفلسفة المظنونة .. من غير أن تكـــون فلسفة فى الحقيقة [فتحدث الملة الفاسدة] ، وذلك متى كان حدوثها فيـــهم عـــن قرائحهم وفطرهم ومن أنفسهم " [١٥٨] .

---

[١٥٤] الفارابي ، الحروف ، ص ١٥١ .

[١٥٥] المصدر نفسه ، ص ١٥٢ .

[١٥٦] الفارابي ، الملة ، ص ص ٤٨ -٥٠ ، د. عزمي طه السيد أحمد ، فلسفة الدين عند الفارابي ، ص ص ٤١- ٤٥ .

[١٥٧] الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١٨٦ .

[١٥٨] الفارابي ، الحروف ، ص ١٥٤ .

الجملة الأخيرة فى هذا النص ، فيها تقييد للحكم بالبعدية الوارد هنا ، كما تثير إشكالاً فى الوقت نفسه لا نجد في كتابات الفارابي المتاحة لنا جواباً شافياً عنه ، فهذه الجملة صريحة فى بيان أن هذا الوضع في التبعية الزمانية حيث تحدث الملة بعد الفلسفة ، يكون عندما يكون حدوثها عن الإنسان وإمكاناته فقط ، والواقع أن الضمير فى " حدوثها " محير ، إذ قد يفهم منه حدوث الفلسفة أو حدوث الملة ، وإذا عرفنا من سياقات كتابات الفارابي المختلفة أن الفلسفة جهد إنساني ، فتبقى المشكلة فى المقصود بالملة ، أي هل الملة ، أىّ ملّةٍ كانت ، سماوية أو من وضع الإنسان ، لا تحدث إلا بعد ظهور الفلسفة ، أم هى فقط تلك الملّة التي يضعها الإنسان بقريحته وفطرته هى التي تحدث بعد الملّة ؟ ما لدينا من كلام الفارابي لا يقدم جواباً صريحاً عن هذا التساؤل ، ومع أن الفارابي فى كتاب الملة يشير إلى الدين الموحى به الذي يضعه الرئيس الأول للدين بمعونة الوحي الإلهي [١٥٩] ، لكننا لا نجد فى كلامه هذا وما تبعه جواباً شافياً عن هذا التساؤل .

* هناك تبعية أخرى أشرنا إليها آنفاً ، وهى أن ما فى الدين مثالات تحاكي الحقائق البرهانية فى الفلسفة ، فهذه تبعية تختلف عن التبعية الزمانية ، ذلك أن المثال المحاكي لأصل ما أو شيء ما لا يأتي أو يكون قبله من الناحية المنطقية وهذه التبعية قد وصفها البعض بأنها منطقية [١٦٠] ، وهى فى نظرنا كذلك إذ هى أشبه بتقدم العلة على المعلول والمقدمة على النتيجة .

* وهناك وجه آخر للتبعية المنطقية وضحه الفارابي فى كتاب الملة [١٦١] ، حيث أكد أن الجزء العملي من الدين الفاضل ، أى " الشرائع الفاضلة كلها تحت الكليات

---

[١٥٩] الفارابي ، الملة ، ص ٤٤ .

[١٦٠] عبد السلام بن عبد العالي ، الفلسفة السياسية عند الفارابي ، ص ١٠٠ .

[١٦١] الفارابي ، الملة ، ص ٤٧

فى الفلسفة العملية ، والآراء النظرية التي فى الملة براهينها فى الفلسفة النظرية ، وتؤخذ فى الملة بلا براهين . فإذن الجزءان اللذان تلتئم منهما الملة همـــا تحـــت الفلسفة " [١٦٢] علاقة " التحتية " بين علمين أو نظامين معرفين كالدين والفلسفة ، حددها الفارابي " بأحد وجهين : إما أن تكون براهين ما أخذ فيه بلا براهين هـــى فى ذلك العلم ، أو إذا كان العلم الذي يشتمل على الكليات هو الذي يعطي أسباب الجزئيات التي تحته [١٦٣] والوجه الأول موجود بين الآراء فى الديـــن والفلســفة النظرية ، والوجه الثاني موجود بين الأفعال فى الدين والفلسفة العملية .

هذه التبعية يترتب عليها نتيجة هامة ، وهى أننا إذا أردنا تقييم دين مـــا والحكـــم بفضله أو فساده ، فإن ذلك ممكن عن طريق الفلسفة : فإن وجدنا براهيـــن فـــى الفلسفة النظرية لما فيه من آراء كانت الآراء فى هذا الدين فاضلة ، وكذلـــك إن وجدنا كليات الأفعال الجزئية فيه فى الفلسفة العملية كانت الأفعال فى هذا الديـــن فاضلة ، وعليه نستطيع أن نحكم على الدين حكماً كلياً أو جزئياً باستخدام الفلسفة ومعاييرها ومبادئها وكلياتها ، وهذا الاستنتاج ينطوي على معنى آخر لتبعية الدين للفلسفة ، هى تبعية المحكوم عليه للحاكم أو لمعيار الحكم .

هذه التوضيحات الموجزة تعطينا صورة واضحة بقدر ملائم حول علاقة الديـــن بالفلسفة عند الفارابي فى سياق مشروعه الفكري الاجتماعي السياسي ، ويمكننـــا استخلاص ما يلي :

- الدين الفاضل لا يتعارض مع الفلسفة الحقيقية .
- الدين الفاسد هو الذي يتعارض مع الفلسفة الحقيقية لتبعيته لفلسفة غير حقيقية .

---

[١٦٢] المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

[١٦٣] المصدر نفسه ، ص ٤٧

♦ الدين الفاضل والفلسفة الفاضلة يتكاملان فى تحقيق السعادة لأهل الدولة الفاضلة .

وإذ وصلنا الى هذا الحد ، فإن سؤالين هامين يبرزان أمامنا فى ضوء كلام الفارابي المتعلق بالدولة الفاضلة المنشودة - الأول : هل الدولة الفاضلة التي لا تتحقق السعادة إلا بها ، فى سياق مشروع الفارابي الفكري ، هى دولة واحدة محددة بعينها أم أكثر من دولة ؟

أما السؤال الثاني فيتعلق بالدين الفاضل وهو : هل الدين الفاضل الذي تتحقق به السعادة القصوى فى الدولة الفاضلة هو دين واحد محدد معينه ، أم أن السعادة يمكن أن يحققها أكثر من دين ؟

هذان السؤالان يوصلاننا إلى الاعتقاد الأخير للفارابي فى موضوع السعادة ، غاية مشروعه الفكري ، والذي يمكن إيراده بعبارة الفارابي نفسه وهى قوله :

" يمكن أن يكون أمم فاضلة ومدن فاضلة تختلف ملتهم " [١٦٥]

يؤكد الفارابي موضوع تعدد الدولة الفاضلة فى سياقات كلامه فى مواضع مختلفة حيث كانت عبارته المتكررة كثيراً " أمم فاضلة ومدن فاضلة " [١٦٦] ، وهذا التكرار دليل لفظي شكلي على أنه يمكن أن يكون هناك أكثر من دولة فاضلة فى الوقت نفسه ، وقد كنا فيما تقدم عالجنا مسألة المقصود بالدولة الفاضلة وأى أنواع الاجتماعات الكاملة يمكن أن يكون هذه الدولة ، وخلصنا الى أنه من الناحية النظرية هناك ثلاثة احتمالات ممكنة (دولة - المدينة ، دولة - الأمة ، دولة -

---

[١٦٥] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١٤٨ .

[١٦٦] على سبيل المثال لا الحصر ، أنظر : الملة ، ص٥٥ ، ص ٥٦ ، ٥٩، تحصيل السعادة ، ص ١١٩ ، ص ١٤٣ ، ص ١٤٨ ، ص ١٥٧ ، ص ١٧٤ ، ص ١٨١وغير ها ، المدينة الفاضلة ، ص ١٢٧ ، ص ١٤٧ ، ص ١٤٨ وغير ها.

المعمورة) ، ولكنه من الناحية الواقعية ، كهدف لمشروع الفـــارابي الفكـــري ، كانت الدولة – الأمة هى المطمح الممكن الأعلى ودولة – المدينة هى المطمـــح الأدنى ، وأنه إذا تحقق أحدهما فإن مشروع الفارابي الفكري يكون قد تحقق .

فإذا كان هذا ما يطمح إليه الفارابي ويعتقده ، وكانت " المدينة جزء مسكن أمـــة ، والأمة جزء جملة أهل المعمورة " [١٦٧] فإن من الطبيعي والمعقول أنـــه يكـــون هناك أكثر من دولة فاضلة : دولة – مدينة أو دولة – أمة ؛ أما فيما يتعلق بالقول بأن الدولة الفاضلة لا تكون إلا واحدة ، فهذا يصدق فى حالة كون هدف الفارابي العملي إقامة دولة – المعمورة ، وهو الأمر الذي رأينا أن الفارابي لم ينصبه هدفاً لمشروعه الفكري ، وإنما ذكره كاحتمال من جملة الاحتمـــالات الممكنـــة علـــى المستوى النظري .

والواقع أن اعتقاد الفارابي فى هذه المسألة قد ورد صريحاً مبـــاشراً فـــى قولـــه المتقدم " يمكن أن يكون أمم فاضلة " [١٦٨] وفي موضع آخر أكد هذا المعنى بقوله : " قد يمكن أن تكون أمم فاضلة ومدن فاضلة تختلف مللهم " [١٦٩] .

يقودنا هذا النص الى السؤال الثاني : هل الدين الفاضل للدول الفاضلة واحـــد أم يمكن أن يتعدد ؟ .

إن في النصين الذين قدمنا آنفاً ، الإجابة الصريحة : يمكن أن يكون هناك ديانات فاضلة مختلفة بعدد دول – الأمة الفاضلة (بعبارة الفارابي : أمم فاضلـــة) ، أو بعدد دول – المدينة الفاضلة (بعبارة الفارابي : المدن الفاضلة) ، وهـــذا القـــول

---

[١٦٧] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١١٨ .

[١٦٨] المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .

[١٦٩] الفارابي رسالة أبي نصر الفارابي فى السياسة ضمن مقالات فلسفة قديمة لبعض مشاهير العرب ، نشر الآباء اليسوعيين ، ط٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١١ ، ص ٨٦ .

الصريح من الفارابي ينسجم تماماً مع مفهومه للدين من جهة ومع مفهومه للمدينة والأمة من جهة أخرى . لننظر إذن فى مفهوم الدين : الدين عند الفارابي هو " مثالات " [١٧٠] للحقائق المتعلقة بالله سبحانه والكون وأجزائه ومراتبها والأجسام الطبيعية والإنسان وحقيقته واتصاله بالله سبحانه عن طريق العقل الفعال وكيف تتحقق له السعادة القصوى ..إلخ ، وهذه الحقائق تعرفها بعض النفوس معرفة برهانية و " ترتسم فى نفوسهم كما هى موجودة " [١٧١] ، وهذه الفئة هم الخواص وهم قلة قليلة من أهل المدن والأمم [١٧٢] ، وهم " حكماء المدينة الفاضلة " ، ومن يليهم [١٧٣] ، أما الغالبية الباقية من أهل المدن والأمم فهم " عامة وجمهور " [١٧٤] وهؤلاء يعرفون هذه الحقائق لا كما هى وإنما " بالمثالات التى تحاكيها " [١٧٥] ، فترتسم فى نفوسهم لا كما هى موجودة وإنما " بالمناسبة والتمثيل " [١٧٩] ثم لننظر فى مفهوم الأمة عند الفارابي : يرى فيلسوفنا أن الأمة جماعة من الناس تشترك فى أخلاق وخصائص طبيعته ، وفي اللغة ؛ وهذا المعنى واضح فى قول الفارابي : " فالأمة تتميز عن الأمة بشيئين طبيعيين ، بالأخلاق الطبيعية والشيم الطبيعية ، وبشيء ثالث وضعي وله مدخل ما في الأشياء الطبيعية وهو اللسان ، أعني اللغة التي بها تكون العبارة " [١٧٧] ، ويرجع الفارابي الاختلافات في " الأخلاق

---

[١٧٠] تكرر وصف الدين بأنه مثالا ت للحقائق في مواضع مختلفة منها :المدينة الفاضلة ، ص ١٤٧ ،تحصيل السعادة ، ص ١٨٤ ، ص ١٨٥ ،الحروف ، ص ١٥٥ وغيرها.

[١٧١] الفارابي :المدينة الفاضلة ، ص ١٤٧ .

[١٧٢] المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .

[١٧٣] المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .

[١٧٤] الفارابي ، تحصيل السعادة ، ص ١٨١ .

[١٧٥] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١٤٧ .

[١٧٩] المصدر نفسه ، ص ١٤٧، تحصيل السعادة ، ص ص ١٨٤ – ١٨٥ .

[١٧٧] الفارابي ، السياسة المدنية ، ص ٧٠ .

الطبيعية والشيم الطبيعية " إلى الاختلاف فى " المساكن [التي] قد تولد فى أهلها أخلاقاً مختلفة " [١٧٨] ، والاختلاف فى اللغة ، التي هي أمر وضعي اصطلاحي فى نظره ، يرجع الى الاختلاف فى المساكن ، الأمر الذي يتبعه اختلاف فى خلق أعضائهم وفى أمزجتهم وفى حركات ألسنتهم وبالتالي فـــى " التصويتـــات التـــي يجعلونها علامات يدل بها بعضهم بعضا على ما فى ضميره مما كان يشير إليـــه والى محسوسة أولاً ، ويكون ذلك هو السبب فى اختلاف ألسنة الأمم ، فإن تلـــك التصويتات الأولى هى الحروف المعجمة [١٧٩] ، وهكـــذا نســـتطيع القـــول بـــأن الفارابي يرى أن المكان الجغرافي وخصائصه المناخية والبيئية والعامل الحاســـم فى تشكيل الأمم وتميز بعضها عن بعضها الآخر فى الشيم الأخلاقيـــة الطبيعيـــة وفي اللغة .

والآن إذا كان الدين الصحيح مثالات للحقائق البرهانية اليقينيـــة فـــى الفلســـفة ، وكانت الأمم تختلف فى لغتها وأخلاقها وأعرافها ، (أى الأشياء " التـــي عندهـــم الأعرف فالأعرف ") ، وكانت الغالبية العظمى أو الجمهور فى المدن والأمم لا يعرفون حقائق الموجودات إلا " بالمثالات التي تحاكيها " وفق ما هـــو الأعـــرف عند كل أهل مدينة أو قوم أو أمة ، فإن الوضع الطبيعي والمعقول ، والحال كذلك أن " تحاكي هذه الأشياء لكل أمة ولأهل كل مدينة بالمثالات التي عندهم الأعرف فالأعرف ، وربما اختلف عند الأمم إما أكثره [أى أكثر الأمور التي هي الأعرف فالأعرف] [١٨٠] وأما بعضه ، فتحاكي هذه لكل أمة بغير الأمور [أي المثالات] التي تحاكي بها الأمة الأخرى . فلذلك يمكن أن يكون أمم فاضلة ومدن فاضلـــة

---

[١٧٨] الفارابي فصول منتزعة ، ص ٤٠ .

[١٧٩] الفارابي ، الحروف ، ص ص ١٣٦ - ١٣٧ .

[١٨٠] مابين المضلعين ؛ [ ] ، زيارة من عندنا لغرض التوضيح والتأكيد.

تختلف ملتهم ، فهم كلهم يؤمون سعادة واحدة بعينها ومقاصد واحـــدة بأعيانـــها "[١٨١] . هكذا يصل الفارابي الى إعتقاده بإمكانية قيام عدد من الدول الفاضلة لكـــل منها دين فاضل خاص بها ، فإذا أضفنا الى هذه القضية أن الضرورة فى تعـــــدد الأديان الفاضلة واختلافها ، فى معظم التفاصيل أو فى القليل منها ، يرجـــع إلـــى تعدد الأمم . (آخذين فى اعتبارنا مفهوم الأمة وما يميزها عن الأمم الأخرى عند الفارابي) ، فإننا نستطيع أن نستنتج أن تعدد الدول الفاضلة يرجع فى النهاية الى السبب نفسه ، وهو : تعدد الأمم .

---

[١٨١] الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ص ١٤٧ – ١٤٨ .

الخاتمة

مناقشات ونتائج :

السعادة عند الفارابى ، كما رأينا فيما تقدم ، مفهوم واحد يضم جوانب مختلفة لكنها متكاملة ، فهو ينطوى على جوانب أخلاقية واجتماعية ودينية ، ولا تتم السعادة الإنسانية آلا بتجسيد هذه الجوانب فى صورها التامة التى تكون بتكاملها وتعاضدها .

واعتقادات الفارابى فى السعادة ، التى اجتهدنا فى الكشف عنها من خلال كتابات الفارابى المختلفة فى المرحلة الأخيرة ، [١٨٢] تشكل من جهة أعمدة

---

[١٨٢] هناك نتيجة هامة أوصلنا اليها هذا البحث فى اعتقادات الفارابى ، وهى على اهميتها ليست من صميم هذا البحث ، ولذلك ذكرناها فى الهامش حتى تكون فى متناول الدارسين للفارابى ، قبولا او رفضا ، او تدقيقا اوتعديلا اوتعليقا ، ويمكن صياغة هذه النتيجة كالا تى :

يوجد ترابط منطقى ووحدة تاليفية بين كتابات الفارابى الا خير ة الأ مر الذى يتيح لنا ترتيبها ترتيباً منطقياً ومقدمات هذه النتيجة واضحة احيانا وكامنة فى مجمل بحثنا هذا ، حيث اشارت اعتقادات الفارابى فى السعادة الى مشروعه الفلسفى الذى وصفناه فى بداية البحث ، وعليه نستطيع — فيما نرى — ان نرتب كتبه الا خير ة ترتيباً منطقياً وهذا الترتيب لا يعنى أن يكون هو الترتيب الزمنى ، هذا الترتيب المنطقى هو على النحو الآ تى :

1. كتابة الحروف .
2. رسالة التنبيه على سبيل السعادة .
3.) كتاب تحصيل السعادة.
4. كتاب الفلسفتين (فلسفة افلا طون .... وفلسفة ارسطوطاليس.
5. كتاب الجمع بين رأيى الحكيمين افلا طون وارسطوطاليس.
6. كتاب اراء اهل المدينة الفاضلة
7. كتاب السياسة المدنية.
8. كتاب الملة.

مشروعه الفكرى السياسى ، إذ هى — كما أوضحنا فى تمهيد البحث .قضايا يصدق بصوابها وبقدرتها على توجيه السلوك نظريا وعمليا نحو غاية مطلوبة ، هى تحقيق الدولة الفاضلة التى يترتب على قيامها تحقيق السعادة لأفراد المجتمع هذه الدولة كما تشكل — من جهة أخرى — مفاتيح لفهم أوعى لأفكار الفارابى التى عرضها فى كتبه المشار إليها ،ولرفع ما قد يبدو من تعارض بين هذه الأفكار ى سياق مشروعه الفكري المترابط والمتسق إلى درجة كبيرة ذلك أن بعض هذه الأفكار التى قدمها الفارابى قد لا تقدر التقدير الملائم إذا تم هذا التقدير خارج صورة مشروعه الفكرى واعتقاداته التى يقوم عليها ، مثال ذلك أفكاره فى الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو .

---

9. فصول المدنى

ان هذا الترتيب المنطقى يشير — فيما نرى — الى قضية تطور فكر الفارابى ويساهم فى الوصول الى حل بشانه فهناك من يفترض انيكون تفكير الفارابى قد مر فى مراحل مختلفة ، وانه ق تكون له فى مرحلة زمنية افكار مختلفة ، الذى تبينه كتب الفارابى الا خير ة وهذا الترتيب المنطقى لها هو ان تفكير ه ف هذه المرحلة الا خير ة لم يطرا عليه تغير فى الجوهر ،وان مشروعه الفكرى الاجتماعى والسياسى قد كانت صورته العامة ومعاله قد اكتملت لدى الفارابى وان هذه المؤلفات قد جاءت لعرض هذا المشروع تفضيل جوانبه المختلفة.

ان الترتيب الزمنى لكتب الفارابى اغير ممكن تماما على وجه القطع حتى الا ن برغم بعض المحاولات الجادة لتحديد زمن تأليف بعض هذه الكتب (كالذى فعله د. سحبان خلفات فى تحقيقه ل: رسالة التنبيه) ، ولهذا فان الترتيب المنطقى لكتبه ، وهو كما نراه — امر ممكن تماما ، يساعدنا كثير اى التغلب على مشكلة التحديد الزمنى وقد يقلل كثير ا من اهم يتهاجين توضع هذه الكتب فى ترتيبها المنطقى النهائى ، هذا الترتيب الذى ينطق من فكره وجوده مشروع فكرى مترابط ومتسق عند الفارابى جاءت كتب الفارابى جميعا لتعبر عنه.

(١٨٣) د. فهمى جدعان بحثه الموسوم "الفارابى ،مدخل الى تجربه العلم والفعل عنده" ضمن : نظرية التراث ودراسات عربية اسلامية اخرى ، دار الشروق ، عمان ، ١٩٨٥ م ، ص ٢٥٤ "

حقا أن مهمة الفلسفة ــ فى نظر الفارابى ــ بقسميها : النظرى والعملى " ليست .. تنحصر فى دراسة الوجود الموجودات ، كما يمكن أن يظن لأول وهلة ، وإنما مهمتها أن تتخرط فى الزمان وان تدخل المدينة لإصلاح عالم الإنسان الذى أفسده الزمان نفسه " (١٨٣) ، لهذا رأينا الغاية من مشروعه النظري ليست نظرية فقط ، وإنما هي غاية عملية مطلوب تجسيدها على أرض الواقع المحتاج إلى تحقيق هذه الغاية ، فهو من خلال هذا المشروع الفكرى يسعى إلى تغيير ما هو كائن إلى ما ينبغى أن يكون لقد كان " ما هو كائن " فى عصره واقعا سيئاً إلى درجة يصعب على المفكر الجاد والملتزم بقضايا مجتمعه وأمته أن يغفلها ، ولقد كان الفارابى كذلك : مفكرا جاداً ملتزماً بقضايا مجتمعه وامته ، يتفاعل معها بطريقته الخاصة فكان مشروعه الفكرى نتيجة لهذا التفاعل بين ذاته وظروف مجتمعه وأمته .

تفيدنا المصادر التاريخية أن العصر الذى عاشه الفارابى ،وظروف الأمة الإسلامية فيه كانت " غير فاضلة " فى الأعم الأغلب ، فالسلطة السياسية المركزية فى بغداد كانت سلطة اسمية ، أما السلطة الفعلية فكانت فى يد الجند أو النساء والخدم ، فقد ذكرت المصادر التاريخية أن الخليفة المقتدر بالله ، قتل وألقيت جثته فى الطريق بعد أن قطعت رأسه وكثرت الفتن فى بغداد على يد البربهاوى وابن مقلة وابن رائق ،وانتشر الجراد والطاعون والزلال واستبد الجوع بالناس ، صارت بغداد " مدينة فاسدة" ذات سياسة ، فأفتى لغيره ولنفسه انه :

" حرم على الفاضل من الناس المقام فى السياسات الفاسدة ووجبت عليه الهجرة إلى المدن الفاضلة (١٨٤) " وهكذا غادر بغداد إلى حلب ، عاصمة سيف

---

(١٨٤) الفارابى ، فصول منتزعة ، ص ٣٥.

الدولة ، التى لعلها كانت فى نظره أفضل المدن المتاحة فـــى زمانـــه[١٨٥] ، أمـــا خارج بغداد ، فى الأقاليم ، فقد استقل الولاة كل بولايته فظهرت دويلات إقليميـــة عديدة تابعة اسميا للخلافة المركزية ، لكنها فعليا مستقلة تمام الاستقلال البصـــرة فى يد ابن واثق ،وفارس والرى واصفهان : يحكمها البويهيون ،والموصل وحلب فى يد الحمدانيين والشام ومصر للإخشديين ،وأفريقيـــة والمغـــرب فـــى أيـــدي الفاطميين ، وخراسان وما وراء النهر يحكمها السامانيون ، وجرجان عند الديلـــم ،والبحرين واليمامة فى يد القرامطة[١٨٦] . وبات تعدد هذه الدويلات أمرا واقعـــا مقبولا ، هذا فضلا عن الصراعات الفكرية بين المذاهب الفقهية والكلامية وكذلك بين الفرق السياسية التي تسلحت بسلاح الفكر الكلامي والفلســـفي للدفـــاع عـــن مواقفها ضد خصومها من شيعة وشعوبيين وعباسيين وباطنيين .

أشرنا هنا بإيجاز شديد إلى واقع العصر الذى عاش فيه الفارابى وما فيه من ظروف اجتماعية وسياسية ودينية سيئة وسلبية أو فاسدة ، لنقول : أن الفارابى قد تفاعل مع هذا الواقع وهذه الظروف بعقله وخياله ووجدانه وفكره ، وثمرة هذا التفاعل عند فيلسوفنا ، هذه الكتابات التى ألفها فى أواخر حياته (كتابات المرحلـــة الأخيرة) قدم فيها خلاصة تجربته العملية والعلمية فى الحياة وضمنها مشروعـــا فكريا غايته الإصلاح وتحقيق السعادة التي كان المجتمع الإسلامي آنذاك فى أمس الحاجة إليها .

---

[١٨٥] الدكتور محمد عبود ، الوضع الاجتماعي والسياسي لمدينة حلب في عهد سيف الدولة والفارابي ، ضمن : ابو نصر الفارابي : فيلسوف الإسلام والمعلم الثاني ، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق ، ١٩٨٩ ، ص ٢٤٧ — ٢٧١.

[١٨٦] عبد الحميد الغنوشي ، الأسس التكوينية والغضوانية لفلسفة الفارابي السياسية والاجتماعية ، ضمن الفارابي والحضارة الإنسانية ، وزارة الإعلام — بغداد ، ١٩٧٥ — ١٩٧٦ ، ص ٩٦ — ١٠٨ ، انظر ص ١٠٠ — ١٠٢.

من هذا التفاعل تكونت عند الفارابى هذه الاعتقادات التى ترجع عناصرها ـ من جهه ـ إلى ذاته بكل ما فيها من عناصر شخصية فردية : اصله ونسبه واسرته وتربيته والتعليم الذى تلقاه فى الصغر وبعد ذلك ، وميوله ورغائبه الخاصة والعامة ونظرته إلى نفسه ومدى تقديره لذاته وطموحاته على جميع المستويات ... الخ ،كما ترجع ـ من جهة أخرى ـ إلى البيئة التى عاش فيها بكل جوانبها : الطبيعية والمناخية والاجتماعية والسياسية والدينية والفكرية ،وأقام الفارابى على هذه الاعتقادات وفى ضوئها وبمعونتها مشروعا فكريا اجتماعيا سياسياً غايته ـ كما أشرنا أنفا ـ الإصلاح الشامل الجذرى لأحوال الامة والمجتمع ، الأمر الذى لا يتم إلا بإقامة الدولة الفاضلة ،سواء كانت هذه الدولة دولة ـ مدينة أو دولة ـ أمة ، وان كان الأفضل والأمثل ـ فى سياق مشروعه ـ أن تكون دولة ـ أمة .

لكن الطريق لاقامة هذه الدولة عند الفارابى لم يكن الثورة العسكرية ،ولا المؤامرات السياسية وانما البحث عن الانسان الذى يصلح ان يكون رئيسا للدولة الفاضلة بما وهبه الله من استعدادت ، وبما اكتسبه بإرادته من علم بحقائق الموجودات ومن فضائل عظمى حتى صار فيلسوفا كاملاً ،إنه إنسان فى مرتبه النبى ، فاذا وجد الانسان فينبغى ان ينصب رئيساً للدولة ويباشر مهامه على الفور فى "تعليم" الناس " وتأديبهم " مستعينا بأناس يكونون قريبين من مرتبته ولهم فضائل عظمى ،وعلى المجتمع والأفراد ان تكون ثقتهم به مطلقة ، وان يطيعوه فيما يأمر أو يوجه ، فهو الذى لديه العلم والحكمة الخالدة والمتوارثة عن اقدم الأمم ،وهو القادر على تنظيم الدولة تنظيماً يقوم على أسس ثابتة هى نفسها الأسس التى يقوم عليها نظام العالم الثابت وهى نفسها الأسس التى يقوم عليها بدن

الانسان التام ،انهما فى الحقيقة نظام واحد يرجع الى منظم واحد " هو السبب الأول " لوجود العالم ووجود الانسان ،وحين يفعل الرئيس الفيلسوف ذلك فى الدولة ،ويطبق هذا النظام الراسخ والثابت فى اسسه ومبادئه ، لا يكون هو ،فى آخر الأمر نهاية التحليل ، المدبر لأمر هذه الدولة ، وانما " الله تعالى هو المدبر أيضا للمدينة الفاضلة كما هو المدبر للعالم [ص ٦٥] وان تدبيره تعالى للعالم بوجه وتدبيره للمدينة الفاضلة ، بوجه آخر ، غير أن بين التدبيرين تناسباً " [١٨٧] ، حين يكون الله تعالى هومدبر العالم ، من خلال الرئيس ــ الفيلسوف القادر على الاتصال بالوحى (العقل الفعال) او "الروح الأمين " [١٨٨] والذى مرتبته مرتبة النبى او قريبا جدا منها ، حين يكون الامر هكذا ، فإن طاعة هذا الرئيس طاعة لله تعالى ، وعليه فلا ينبغى الاختلاف ولن يكون مجال البته .

أترى هذا الانسان ، الذى جعله الفارابى قطب الرحا وحجر الزاوية والقلب فى مشروعه الفكرى ذى الغاية العملية الاصلاحية ، هل له وجود فى عالم الواقع الفعلى ، وهل كان مثل هذا الانسان موجودا فى عصر الفارابى ؟

سياق كتابات الفارابى يشير الى ان له وجودا ،وان الفارابى كان يرى نفسه الشخص المؤهل لهذا الأمر . سأحاول ان اعزز هذا فيما سأورده فيما يلى مستخدما القرائن حيث لا تتوافر الأدلة القاطعة ،فنقول فى القصة المعروفة التى رواها ابن خلكان عن اول لقاء بين الفارابى وسيف الدولة فى مجلس الاخير والتى وصف بعض أجزائها بان فيه مبالغة تصل الى حد الأسطورة كإجادة الفارابى لسبعين لغة وغيره ، يستوقفنا جزء من الرواية ينسجم فى تقديرنا مع

---

[١٨٧] الفارابى :الملة ، ص ٦٤ــ ٦٥.

[١٨٨] المصدر نفسه ص ٦٤.

فلسفة الفارابى بعامة ورأيه فى مكانه " الفيلسوف بالحقيقة وتقديره هو لذاته ، مما يجعلنا نقرر بان الحادثة لها أساس فى الواقع ، لكن أضيفت اليها بعض المبالغات ، اما هذا الجزء الذى ترى انه لا يوجد ما يدعو للتشكيك فيه ، فهو الذى يشير الى مزاحمته سيف الدولة فى مجلسه حين طلب الاخير من الفارابى ان يجلس "من حيث هو " اذ تقدم حينها الى مكان سيف الدولة وزاحمه فيه حتى كاد ان يخرجه عنه ، فاذا عرفنا صفات الفيلسوف الكامل الذى هو فىنظر الفارابى ملك وامام ورئيس وواضع نواميس ،أخذنا فى الاعتبار ان الفارابى وقت الحادث كان شيخا جاوز السبعين متمتعاً بقواه العقلية ، الأمر الذى يجعلنا نستبعد ان تكون تصرفاته فى مثل هذا الموقف تصرفات رعناء وبلاتقدير ،وانه كان اعلم اهل زمانه بالفلسفة وانه كان مشهودا له بانه فيلسوف اذا اعتبرنا كل هذه الامور لراينا ان مزاحمته للرئيس الحمدانى ومحاولة اخراجه عن مكانه هى تعبير واضح عن تقديره لذاته أنه كان يرى أن مكانته هى الرئاسة ، او على الاقل المشاركة فىالرئاسة (اذ لم يخرج سيف الدولة كلياً مكانه)، وهذه فى تقديرنا ، الرسالة التى كان الفارابى يريد ايصالها ،الى سيف الدولة .

لقد لاحظ الاستاذ فهمى جدعان من خلال " ماروى من امر دخوله على بلاط سيف الدولة ، ان هذا الدخول " يشير الىانه كان مدعوا مرموقا الى هذا المجلس .." [١٨٩] كما قدر الأستاذ جدعان ايضا ، تقديراً ظنيا ان سيف الدولة نفسه قد دعاه الى بلاطه ليستنير بآرائه السياسية وليتخذ منه موجها سياسياً [١٩٠] كما يرجح ان يكون الفارابى " قد بنى آمالا كبارا على اتصاله بسيف الدولة

---

[١٨٩] د. فهمى جدعان ، نظرية التراث ، ص ٢٥٥

[١٩٠] المصدر نفسه ، ص ٢٥٥.

بحيث كان يرجو على الاقل ان تتجسد فى هذا الامير فلسفته السياسية فتجعل من دمشق التى قضى فيها سنوات حياته الاخيرة المدينة الفاضلة التى كان يتصور[١٩١] ".

اننا نتفق مع الاستاذ جدعان ، فى هذه الأحكام الآنفة الذكر ، وان كان لا يوجد عليها دليل قاطع ونحس بقربها من الصواب إحساسا قوياً وقد نضيف اليها ان الفارابى كان يأمل ان تسند اليه مهمه المشاركة فى رئاسة الدولة متمشيا مع رأيه فى رئيس الدولة الفاضلة الذى يرى انه ان لم يوجد انسان واحد اجتمعت فيه شروط الرئاسة كلها امكن ان تكون الرئاسة فى اثنين او فىجماعة (لا تتجاوز السته بعدد الشرائط التى ذكرها) كانت هذه الجماعة التى تتوافر فى مجموع افرادها الشرائط الستة هم الرؤساء الافاضل ،وبطبيعة الحال ان تكون الحكمة فى احدهم ، اى ان يشارك فيها الفيلسوف ، وعليه نرجح ان الفارابى كان يأمل ان تتاح له فرصة البدء عملياً بتحقيق مشروعه الفكرى اذا ما جرى تعيينه رئيسا مشاركاً مع سيف الدولة الذى نعتقد ان زيارته له فى بلاطه كانت فى سياق هذا الهدف واذا فشلت محاولته مع سيف الدولة فلا يستبعد ان تكون زيارته لمصر وهو فى سنه المتقدم ٣٣٧هـ (عمره وقتئذ سبع وسبعون سنة تقريباً) هىالمحاولة الاخيرة لوضع مشروعه الفكرى علىاول خطوة من خطوات التطبيق الفعلى . لكن الفارابى وان لم يتح له ان يكون رئيساً " أو مشاركاً " فى رئاسة دولة فان تقدير لنفسه ظل عالياً ،وانه يرى نفسه رئيسا بالرغم من انه لم ينتفع به وقد بلغ مبلغا عاليا من العلم والفلسفة والحكمة لم يتقدم عليه فيه أحد فى عصره ، المشكلة لم تكن في الفارابى وانما كانت " من جهة من لا يصغى او من لا يرى

---

[١٩١] المصدر نفسه ، ص ٢٥٦.

ان يضغى اليه[١٩٢] " ، ان ماهيته هى انه فيلسوف بالحقيقية وملك او امام وهـــو كذلك بصناعته ، ولا يزيل هذه الماهية وهذه الصناعة ان يجد "من يقبل منه او لم يجد ، وجد قوما يعاونونه على غرضه (اى تحقيق الدولة الفاضلة) او لم يجـــد" [١٩٣] ، فحال مثل هذا الفيلسوف كحال الطبيب الذى هو " طبيب بمهنته وبقدرته على علاج المرضى وجد مرضى او لم يجد ،وجد آلات يستعملها فى فعله او لم يجد ، كان ذا يسار أو فقر ، إذ ليس يزيل طبه الا يكون له شئ من هذه[١٩٤] " ان الفارابى هنا ـــ فيما نحسه ونميل الى تقريره ـــ انما يتحدث فى هذه النصـــوص عن نفسه اولاً ،وانه ذلك الرئيس ـــ الاوحد او الرئيس ـــ المشارك للدولة الفاضلة المطروحة كغاية فىمشروعه الفكرى ، وكانه بهذا الكلام يغزى نفسه من جهـــه ويبرر عدم الانتفاع به الاغراض عنه من جهة اخرى .

لقد وصف مشروع الفارابى فى المدينة الفاضلة بانه (طوبائى) اى محض خيال لا صلة له بالواقع فهو خيالى ممتع لكنه محال ،والذى نراه انـــه مشـــروع مثالى لا خيالى ،بمعنى انه يسعى لرسم صورة للدولة الفاضلة وررئيسها امثل ما يكون واكمل ما يكون أو ما يمكن أن يتحقق ، مثل هذه الصورة وان كان تحقيقها عسيرا ، لكنها تظل تمثل الصورة المثلى التى علينا ان نقترب منها ما امكن ، إن العديد من عناصرهما يمكن تطبيقه ، من ذلك ما أشرنا إليه من تولية الرئاسة في الدولة الفاضلة ، فإن تعذر فليكن الفيلسوف شريكاً فى الرئاسة ، كذلك إقامة دولة فاضلة لكل امة دولتها وهو امر ممكن تماماً ، بل ان الواقع فى عصر الفـــارابى

---

[١٩٢] الفارابى ، تحصيل السعادة ، ص ١٩٥.

[١٩٣] المصدر نفسه ، ص ١٩٥.

[١٩٤] المصدر نفسه ، ص ١٩٥.

كان قريبا من ذلك سوى ان الدول لم تكن فاضلة لاكثر من سبب ، احدها انـــه لا واحد منها رئيساً فيلسوفاً او حتى يشارك الفيلسوف فى رئاستها .

هذه الدولة تحتاج الى فلسفة ليصير لدينا فى المجتمع فئة مـــن الفلاســفة يتولون قيادة امور الدولة الفاضلة وتدبيرها وتحتاج الى الدين الفاضل لكى تجتمع آراء اهلها " اعتقاداتهم وافعالهم وتأتلف بها أقسامهم وترتبط وتنظم ، وعند ذلـك تتعاضد افعالهم وتتعاون حتى يبلغوا الغرض الملتمس وهو السعادة القصوى [١٩٥]

وإذن فالفلسفة وحدها ،مع كونها عنصراً أساسيا فى اقامة الدولة الفاضلة لا تكفى لاقامة هذه الدولة وهى بحاجة الى الدين .وعليه فان بين الفلسفة والديـــن تكاملا فى سياق مشروع الفارابى ، وليس بينهما تعارض والحاجة الـــى الديـــن والفلسفة معا ترجع الى ان الناس اغلبهم جمهور وعامة لا يقدورن علـــى ادراك الحقائق الفلسفية بطريق البراهين اليقينية والخاصة هم القلة ، وهم الذين يعرفـــون حقائق الأشياء ويتقنون الفلسفة وهؤلاء هم الفئة التى تراس الجمهور وتدبر امـــر الدولة ،وهم الذين يعلمون ويؤدبون ويدركون أن الدين مثالات محاكية للحقـــائق الفلسفية ولذلك فانهم بمعرفتهم لهذه الحقيقة الدين يستطعيون ان يحلوا المشكـــلات التى تواجه الدين .

ولكن هل كان الفارابى يرى ان الدين وحده دون معونة الفلسفة ، يمكـــن ان تقوم على أساسه دولة فاضلة ؟ أغلب الظن لدينا ان الفارابى فـــى مشروعـــه الفكرى يرى ان الدين وحده غير كاف ، ذلك أن حديثه عن الدين جاء بعد حديثه عن الفلسفة وعن الفيلسوف رئيس الدولة ، الذي إذا لم يوجد فلن تكون لدينا دولة فاضلة . لقد قلنا فيما تقدم ان الفارابى كان يرى ان من الممكـــن ان تكـــون امـــم

---

[١٩٥] الفارابى الملة ، ص ٦٦.

مختلفة لها دول فاضلة مختلفة وملل فاضلة مختلفة ، ولعل هذا الراى لـم يلتفـت اليه الباحثون فى الفارابى بالقدر الكافى ،وهو قد يثير استغراب القارئ ، مـع ان الفارابى ذكره صراحة ، والواقع انه لم يعد يثير استغرابنا لانه راى منسجم مـع مشروع الفارابى ومع اعتقاداته وآرائه فى مفهوم الأمة والدين ، فضلا من كونـه يمثل ، فى تقدير الفارابى وحسب ما نراه حلاً واقعياً عملياً لتعدد الامم والدويلات والاتجاهات اوالمذاهب الدينية القائمة فى عصره .

لم يكن هدف الفارابى فى مشروعه الفكرى الاجتماعى السياسـى اقامـة دولة مركزية من جديد كحل لتمزق الدولة الاسلامية الذى عاصره وان لم يغيـب مثل هذا الحل كاحتمال نظرى عن فكرة لكن الذى كان يطمح اليه كما اوضحنـا فيما تقدم ــ دولة لكل امة من الامم التى يضمها العالم الاسلامى ، هذا كما راينـا هو المطمح الاعلى ، فان لم يتحقق فدول فاضلة لكل مدينة ، ذلك ان طبائع الامم واخلاقها واعرافها ولغاتها مختلفة وذلك كله ــ عنـد الفـارابى ــ راجـع الـى اختلاف المساكن التى نشأ فيها كل قوم او كل امة ، اذ الدين ضـرورى ــ كمـا اسلفنا ــ لقيام الدولة الفاضلة ، وهو فى جوهره لايعبر عـن الحقيقـة بصـورة مباشرة وكما هى ، وانما بمثالات محاكية لهذه الحقائق ، فان الانسب الافضل ان تحاكى المثالات لكل قوم بما هو الاعرف عندهم ،وان يكون لكل قـوم او امـة قومية (كالعرب والفرس والترك والديلم والسريان ...الخ) .. دولة فاضلـة لـها دينها الفاضل ، وهذا لا يوجب الصراع او النزاع بين هذه الدول : " فـهم كلـهم يؤمون سعادة واحدة بعينها ومقاصد واحدة بأعيانها " المدينة الفاضلة ص ١٤٨" "

ان هذا الحل المتضمن فى مشروع الفارابى ، هو فى تقديرنا ــ ما كـان يراه الفارابى الحل الامثل للمشكلات التى كانت تعانى منها الدولة الاسلامية فـى

كل اجزائها ،والتى احدها ـ على كثرتها ـ قضية الشعوبية والشعور القومى المتنامى فى عصر الفارابى لدى عدد من الاقوام المنتمين الى الاسلام من اصول غير عربية .

لقد عبر الفارابى فيما نراه فى مشروعه الفكرى الذى عرضناه بايجاز مركزين على الاعتقادات التى قام عليها ،عن اللحظة التاريخية التى عاصرها بطريقته الخاصة ، فقد احس بازمة عصره ومشكلات مجتمعه ،ورأى ان اصلاح الوضع السياسى والاجتماعى المتردى لا يكون فى اقامة دولة مركزية شاملة لجميع فئات المسلمين وان هذا الامر لم يعد ممكنا من الناحية الواقعية ، وانه يتولد عنه مشكلات وسلبيات عديدة ، وان الحل الافضل الممكن عملياً هو قيام دويلات فاضلة اما دولة لكل قوم (اى دولة ـ امة) او دولة لكل جزء من قوم يسكنون مدينة ما وضواحيها (اى دولة ـ مدينة) ويختار رئيس لكل دولة او يضع لأهل دولته الدين الملائم لأخلاقهم وشيمهم الطبيعية ولغتهم ، الامر الذى يحل جميع مشكلاتهم الفكرية والاجتماعية والسياسية بما فى ذلك قضية الشعور القومى الموجود كأمر طبيعى عند كل قوم ، فيحصل للجميع بذلك كمالهم وسعادتهم القصوى .

****